سورة النَّحل

(١٩٩) قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ النحل: ٢

قوله عز وجل: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ غافر: ١٥، وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ قال أبو العبَّاس: هذا كله معناه: الوحي، سمي روحاً، لأنه حياةٌ من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان[١].

الدِّراسة:

أقوال المفسِّرين في المراد بـــ(الروح):

الأول: الوحي.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و الرَّبيع بن أنس، وقتادة[٢]، وقاله ابن جرير [٣]، والنَّحاس[٤]، ومكِّي[٥]، والواحدي[٦]، والبغوي[٧]، والقرطبي[٨]، وابن كثير[٩].

الثاني: النبوة.

روي عن مجاهد، والحسن[١٠].

الثالث: تنزل الملائكة بأمره، فأمره روح لأن فيه حياة النَّاس.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١١]، وقاله الزَّجاج[١٢]، وابن عطية[١٣].

---

(١) تهذيب اللغة٥/١٤٥، وينظر: التفسير البسيط١٣/١٠، ولسان العرب٢/٤٦٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٦٢-١٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(٣) جامع البيان١٤/١٦١

(٤) معاني القرآن٤/٥٣

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٣٩٤٧

(٦) التفسير البسيط١٣/٩

(٧) معالم التنزيل٥/٨

(٨) الجامع لأحكام القرآن١٢/٢٦٩

(٩) تفسير القرآن العظيم٤/٥٥٦

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(١٢) معاني القرآن٣/١٩٠

(١٣) المحرر الوجيز٣/٣٧٨

الرابع: الرحمة.

روي عن الرَّبيع، وقتادة[1].

الخامس: أرواح الخلق، لا يترل ملك إلا ومعه روح.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد[2].

السادس: القرآن.

روي عن الضَّحاك[3].

النتيجة:

الروح هو الوحي ومنه القرآن، وهما من أمره تعالى، وهي رحمة لعباده، فهذه الأقوال متقاربة المعنى، والذي يدل على صحة هذه الأقوال، وأنها المراد بالروح في الآية قوله تعالى :﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾، وهذا الإنذار يكون بالوحي الذي أنزله على رسله عليهم السلام.

أما القول بأرواح الخلق فالذي يظهر أن فيه بعد عن الغرض الذي من أجله سيقت الآيات، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٦٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٦

(٢٠٠) قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ النحل: ٩

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ فسَّره ثعلب فقال : على الله أن يقصد السبيل للمسلمين [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ ، فسَّره ثعلب فقال: يعني اليهود والنصارى[٢].

الدِّراسة:

اختلف العلماء في نوع (أل) في (السبيل) على قولين:

الأول: أنها للجنس، والمراد بـــ(السبيل) الطريق، و(القصد) مصدر بمعنى فاعل، يقال : سبيل قاصد، أي: مستقيم، والمعنى: وعلى الله بيان الطريق المستقيم بالحجج والرسل والكتب، على تقدير حذف مضاف، أو أن (القصد) مصدر بمعنى الإقامة والتعديل، ولا حاجة لتقدير مضاف، والمعنى: وعلى الله تقويم وتعديل السبيل، والضمير في (منها) يعود على لفظ (السبيل)، ومن جنس السبيل، سبلٌ جائرة.

قاله الزَّمَخشَري[٣]، والشَّوكاني[٤]، والألوسي [٥]، وابن عاشور[٦]، وعليه تفسير أكثر المفسِّرين[٧].

الثاني: أنها للعهد، والمراد بـــ(قصد السبيل) الإسلام، والمعنى:أن الإسلام على الله، أي: يؤدي إلى رضا الله ورحمته وثوابه وجزائه، كما قال تعالى :﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الحجر: ٤١

والضمير في (منها) يعود على (السبيل) التي يتضمنها معنى الآية، كأنه قيل : ومن السبيل سبلٌ جائرة، فأعاد عليها وإن لم يجر لها ذكر، لأن مقابلها يدل عليها، أو يعود على المذكور

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٠٦، وينظر: مجالس ثعلب١/٤٢١، ولسان العرب١١/٣٢٠

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٧/٥٤٣، وينظر: لسان العرب٤/١٥٣

(٣) الكشاف٢/٥٧٢

(٤) فتح القدير٢/١٤٩

(٥) روح المعاني٧/٣٤٦

(٦) التحرير والتنوير١٤/١١٢

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٧٧-١٧٩، والتفسير البسيط١٣/٢٢-٢٤، ومعالم التنزيل٥/١١

بتقدير مضاف، والتقدير: ومن جنس السبل سبلٌ جائرة، أو يكون المراد بها مذاهب أهل الأهواء والبدع، من المسلمين.

قاله الواحدي[١]، وابن عطية[٢]، وعليه تفسير مجاهد، وابن زيد[٣].

الأقوال في المراد بالطرق الجائرة:

الأول: اليهودية والنصرانية[٤].

الثاني: اليهودية والنصرانية والمجوسية[٥] [٦].

الثالث: عموم ملل الكفر.

قاله ابن جرير[٧]، والبغوي[٨]، وابن عطية[٩].

الرابع: الأهواء والبدع.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١٠]، عبد الله بن المبارك[١١].

النتيجة:

الظاهر أن الآية تحتمل كل الأوجه المذكورة، لكن الأولى هو ما ذهب إليه أكثر المفسِّرين، وأن اللام للجنس.

والجائرة هي عموم ملل الكفر ولا وجه لتخصيص ملة دون أخرى .

وأما من قال هم أهل الأهواء والبدع من أمة محمد ﷺ، فهذا على القول بأن المراد بـــ(القصد) الإسلام، والله أعلم.

---

(١) التفسير البسيط١٣/٢٤

(٢) المحرر الوجيز٣/٣٨١

(٣) ينظر:جامع البيان، للطبري١٤/١٧٨، والتفسير البسيط١٣/٢٤

(٤) ينظر: معاني القرآن٢/٩٨

(٥) المجوسية: هم عبدة النيران القائلون إن العالم صادر من أصلين هما الظلمة والنور، معجم ألفاظ العقيدة٣٦٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب٢/١١٤٩.

(٦) ينظر:التفسير البسيط١٣/٢٣، والبحر المحيط٥/٤٧٧

(٧) جامع البيان١٤/١٧٧

(٨) معالم التنزيل٥/١١

(٩) المحرر الوجيز٣/٣٨١

(١٠) ينظر:جامع البيان، للطبري١٤/١٨٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٧٨

(١١) ينظر: معالم التنزيل٥/١١

(٢٠١) قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النحل: ١٠

﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾

أي: ترعون فيه [١].

الدِّراسة:

ما ذكره ثعلب -رحمه الله- هو معنى (تسِيمون) عند المفسِّرين[٢].

ومعنى الآية: وفي الشَّجر الذي نبت من المطر ترعون منه مواشيكم.

يقال: سامت الإبل فهي سائمة: إذا رعت، وإنما أُخذ ذلك من السُّومة وهي العلامة، حيث أنها تترك في الأرض علامة بعد رعييها فيه[٣].

(١) مجالس ثعلب١/٤٢١

(٢) ينظر:معاني القرآن، للفراء ٢/٩٨، ومجاز القرآن١/٣٥٧، غريب القرآن، لليزيدي :٢٠٤، وجامع البيان، للطبري١٤/١٨١، ومعاني القرآن، للزجاج٣/١٩٣، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٥٩، والتفسير البسيط١٣/٢٦

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، ومفردات ألفظ القرآن، وعمدة الحفاظ،مادة(س و م)

(٢٠٢) قوله تعالى :﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ النحل: ١٥

قال: وسمِعْتُ أبا العبَّاس وسئل عن قول الله جلّ وعزّ:﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ فقال: تحَرَّكَ بكم وتَزَلْزَلَ، ومَاد يَمِيدُ إذا تَثَنَّى وتَبَخْتَر[1].

الدِّراسة:

معنى الميد في الآية: الحركة والاضطراب والميل، وهذا قول المفسِّرين في الآية[2].

وماد الرجل يميد ميداً: إذا تحرك ومال واضطرب[3].

وفي الحديث: **(لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال)**[4].

(١) تهذيب اللغة١٤/٥٦

(٢) ينظر: مجاز القرآن ١/٣٥٧، وجامع البيان، للطبري ١٤/١٩٠، ومعاني القرآن، للزجاج، ٣/١٩٣، ومعاني القرآن،للنحاس٤/٦٠، والتفسيرالبسيط١٣/٣٤، وزاد المسير٤/٤٣٥

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، ومفردات ألفظ القرآن، وعمدة الحفاظ،مادة(م ي د)

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب (بدون عنوان)، رقم(٣٣٦٩)،من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

(٢٠٣) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النحل: ٢٤

﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

قال: هذا استئناف، كأنهم قالوا: لم ينـــزل شيئاً هذه أساطير الأولين.

ويجوز في مثل هذا: الاستئناف والنصب جميعاً، مثل قوله: ﴿ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ النحل: ٣٠ [١].

الدِّراسة:

جواب المشركين على السؤال في الآية هو في محل رفع خبر ويحتاج إلى مبتدأ.

وللعلماء في توجيه ذلك وتقدير المبتدأ أقوال:

الأول: المبتدأ محذوف، والتقدير: لم ينـــزل شيئاً هذه أساطيرُ الأولين.

الثاني: الذي يعرُون أو يسأَلون أو يدَّعون أو يذكرون أنه منزلٌ أساطيرُ الأولين.

الثالث: الذي أنزل أساطيرُ الأولين. ولا يكون في هذا إقرار منهم بالإنزال، إنما قالوا ذلك على سبيل السخرية والتهكم[٢].

وجوز ثعلب -رحمه الله- النصب مع الاستئناف[٣]، في (أساطير)،وتقديره: أنزلَ الله أساطيرَ الأولين، على سبيل السخرية[٤].

وقاس ذلك على آية: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ النحل: ٣٠ ، لكن قولهم ذلك إيماناً منهم بما أنزل ربهم تعالى، بخلاف المشركين، والتقدير: قالوا أنزل الله خيراً.

النتيجة:

الأقوال المتقدمة جميعها جائزة في الآية ومحتملة، ولا تعارض بينها، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٩٢

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/٣٩٤، ومشكل إعراب القرآن :٣٩٤-٣٩٥، وإملاء ما منَّ به الرحمن٢/٧٩، ومعاني القرآن، للزجاج ١٩٤/٣، والتفسير البسيط ٤١/١٣-٤٣، والكشاف ٥٧٧/٢، والبحر المحيط /٤٨٤، والدر المصون٧/٢٠٦-٢٠٧

(٣) وهذا على قراءة النصب، وهي شاذة، ينظر: البحر المحيط٥/٤٨٤، والدر المصون٧/٢٠٧

(٤) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٣٩٤/٢، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٧٩/٢، والكشاف ٥٧٧/٢، والدر المصون٧/٢٠٧

(٢٠٤) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل: ٦٩

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ فسَّره ثعلب فقال: يكون الطريق ذليلا وتكون هي ذليلة[١].

الدِّراسة:

الأقوال في (ذللاً):

الأول: أنها حال من السبل، والمعنى: اسلكي طريق ربك الممهد.

روي هذا التفسير عن مجاهد[٢].

ويؤيده قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ الملك: ١٥

الثاني: أنها حال من فاعل اسلكي. اسلكي طريق ربك منقادة مطيعة.

روي هذا التفسير عن قتادة، وابن زيد[٣]، واختاره ابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥].

ويؤيده قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يس: ٧١ - ٧٢[٦].

النتيجة:

كلا القولين محتمل وجائز في الآية واللغة[٧]، ولكن الأولى أن يكون حالاً من الأقرب في الذكر وهو السبيل، والله أعلم.

---

(١) لسان العرب١١/٢٥٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٢٨٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٩٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٢٨٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٩٠

(٤) جامع البيان١٤/١٢٨٩

(٥) معاني القرآن٣/٢١٠

(٦) ينظر: إملاء ما من به الرحمن٢/٨٣، وجامع البيان، للطبري١٤/١٢٨٧-١٢٨٩، والمحرر والوجيز٣/٤٠٦، والبحر المحيط٥/٥١٢، والدر المصون٧/٢٦٢-٢٦٣

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٢٨٩، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٨٤

(٢٠٥) قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨

قال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

قال: هذا مثل الجزاء. مثل قولهم: إذا قُمْتَ قُمْتُ، وإذا فَعَلْتَ فَعَلَتُ، وقيامي مع قيامك.

أي: الاستعاذة والقرآن معاً.

أي: اجعل قراءتك الاستعاذة. كقولهم: اجعل قيامك مع قيام زيد[1].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الآية:

الأول: فإذا أردت القراءة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ المائدة: ٦ أي: إذا أردتم الصلاة فاغسلوا وجوهكم.

ومثله في كلام النَّاس: إذا أكلت فقل: بسم الله.

وهذا قول جمهور المفسِّرين واللغويين[2].

الثاني: أنه على ظاهره والاستعاذة بعد القراءة.

روي عن أبي هريرة ﷺ، وابن سيرين[3]، وحمزة الكوفي، ومالك، وداود الظاهري[4][5].

الثالث: أنه من المقدم والمؤخر، فالمعنى: إذا استعذت فاقرأ.

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٠٢، ٣٨٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٤/٣٥٧، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٢١٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٤/١٠٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٤٠٨٤، والتفسير البسيط ١٣/١٩٢-١٩٣، والمحرر الوجيز ٣/٤٢٠، وزاد المسير٤/٤٨٩، والبحر المحيط٥/٥٣٥، والدر المصون٧/٢٨٥

(٣) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري البصري التابعي الأنسي، مولى أنس بن مالك، وتوفي سنة ١٢٠هـ، وينظر: طبقات ابن سعد٧/١٩٣، وسير أعلام النبلاء٤/٦٠٦.

(٤) داوود بن علي بن خلف الظاهري، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني، ينسب إليه المذهب الظاهري في الفقه، توفي سنة ٢٧٠هـ، وينظر: تاريخ بغداد٨/٣٦٩، وسير أعلام النبلاء١٣/٩٧.

(٥) ينظر: التفسير البسيط ١٣/١٩٢-١٩٣، وزاد المسير ٤/٤٨٩-٤٩٠، والبحر المحيط ٥/٥٣٥، والدر المصون٧/٢٨-٢٨٦

قاله أبو عبيدة[1].

واعترض عليه أن ذلك لو كان كذلك، لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان، لزمه أن يقرأ القرآن.

النتيجة:

القول الثاني مخالف لفعله ﷺ عند قراءة القرآن، كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النَّبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول :(**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**) ثم يقول:(**الله أكبر كبيراً**) ثم يقول :(**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**) ثم يقرأ[2].

وقد جاء في القرآن وكلام العرب – كما ذكر– مثل هذه الآية في الأسلوب على معنى القول الأول.

والقول الثالث سبق الإشارة إلى سبب ضعفه، والله أعلم.

---

(١) مجاز القرآن١/٣٦٨، وينظر: المحرر الوجيز٣/٤٢٠، وزاد المسير٤/٤٩٠

(٢) أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك، رقم(٧٧٥)، والترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم(٢٤٢)

(٢٠٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ١٠٠

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ قال ثعلب: معناه الذين صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان، فصاروا بعبادتهم الشيطان مشركين، وليس المعنى: أنهم آمنوا بالله -عز وجل- و أشركوا بالشيطان، ولكن عبدوا الله - عز وجل- وعبدوا معه الشيطان، فصاروا بعبادتهم الشيطان مشركين، ليس أنهم أشركوا بالشيطان، وآمنوا بالله وحده.

قال الشيخ أبو عمر: فعرضت هذا الكلام على محمد بن يزيد المبرِّد فقال: هذا كلامٌ مُتْلِئِبٌّ[١] صَحيحٌ[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: عود الضمير على الله تعالى، والمعنى: والذين هم برب العالمين مشركين.

لأن المشركين هم مشركين بالله تعالى الشيطان، لا مشركين بالشيطان الله، لأجل ذلك فالأولى أن يعود الضمير على قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ النحل: ٩٩

روي عن مجاهد، والضَّحاك[٣]، واختاره ابن جرير[٤]، ومكِّي[٥]، والبغوي[٦]، والزَّمَخشَري[٧].

الثاني: عود الضمير على المُسَبِّب الشيطان - وهو أقرب مذكور-، وأريد السَّبَب وهي طاعة الشيطان، والمعنى: والذين هم بطاعة الشيطان أو لأجل الشيطان مشركون بالله.

روي عن الرَّبيع بن أنس[٨]، واختاره ابن عطية[١]، وأبو حيَّان [٢]، والسَّمين الحلبي [٣]، والألوسي[٤]، وابن عاشور[٥].

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٠١-٣٠٢، وينظر: تهذيب اللغة١٤/١٠، وتفسير السَّمعاني٢٠١/٣، ولسان العرب٤٤٩/١٠

(٢) متلئب: أي مستقيم، واتلأب الأمر إذا استقام، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ت ل ب)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ٣٦٠/١٤-٣٦١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢٣٠٢/٧

(٤) جامع البيان٣٦١/١٤

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٤٠٨٥/٦

(٦) معالم التنزيل٤٣/٥

(٧) الكشاف٦٠٩/٢

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري، ٣٦١/١٤

النتيجة:

المختار الثاني لأن الأولى اتحاد الضمائر، وعود الضمير إلى أقرب مذكور، وفي القرآن وكلام العرب يأتي المُسَبِّبِ ويراد به السَّبَبَ، وكذلك العكس، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز٣/٤٢٠

(٢) البحر المحيط/٥٣٥

(٣) الدر المصون٧/٢٨٦

(٤) روح المعاني٧/٤٦٦

(٥) التحرير والتنوير١٤/٢٧٩

سورة الإسراء

(٢٠٧) قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ ﴾ جاسوا، وداسوا واحد[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: داسوا وأفسدوا خلال الديار.

قاله ابن قتيبة[٢]، ومكِّي[٣].

الثاني: مشوا وترددوا بين الدور.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤]، وقاله ابن جرير[٥]، والبغوي[٦]، وابن كثير[٧].

الثالث: نزلوا خلال الديار.

قاله قطرب[٨].

الرابع: قتلوهم بين الدور والمساكن.

قاله الفرَّاء[٩]، وأبو عبيدة[١٠].

الخامس: فتشوا ونقبوا خلال الديار.

قاله أبو عبيد[١١]، .....

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦٧

(٢) غريب القرآن:٢٥١

(٣) تفسير المشكل في غريب القرآن:١٣٥

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/٤٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣١٨

(٥) جامع البيان١٤/٤٧٠

(٦) معالم التنزيل٥/٧٩

(٧) تفسير القرآن العظيم٥/٤٧

(٨) ينظر: النكت والعيون٣/٢٣٠، والدر المصون٧/٣١٤

(٩) معاني القرآن٢/١١٦

(١٠) مجاز القرآن١/٣٧٠

(١١) ينظر: الدر المصون٧/٣١٤

واليزيدي[1]، والزَّجاج[2]، والسَّمين الحلبي[3].

النتيجة:

لفظ (الجوس) من المشترك اللفظي الذي يحتمل أكثر من معنى [4]، ومعنى الآية يحتمل ما ذكر من أقوال في معناها، فه ؤلاء نزلوا في الديار، ومشوا وترددوا بين المساكن منقبين ومفتشين، وقاموا بالقتل والإفساد فيها.

(١) غريب القرآن:٢١١

(٢) معاني القرآن٣/٢٢٧

(٣) الدر المصون٧/٣١٤

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، وعمدة الحفاظ، مادة(ج و س)

(٢٠٨) قوله تعالى :﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٨

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ ﴾

أي: ما أقربه. قال: هذه تسمى المقاربة: عسى عبد الله يقوم، مثل كاد عبد الله يقوم . وإذا أدخل (أن) فإنه يقول قارب[١].

الدِّراسة:

عسى كلمة ترج وتمنٍ، تدل على قرب وإمكان، وهي من أفعال أو حروف المقاربة على خلاف بين النحويين[٢].

وأهل العلم يقولون عسى من الله تعالى واجب ويقين، إلا قوله تعالى :﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ التحريم: ٥، فإنه واجب لكنه مشروط بالطلاق لهن، وكذلك هذه الآية ولكن الوجوب مشروط بألا يعودوا إلى ما كانوا عليه.

وأما (عسى) في النَّاس فهَذَنٍ ورَجَ على الظن[٣].

قال ابن جرير: و(عسى) من الله واجب، وفعل الله ذلك بهم فكثَّر عددهم بعد ذلك، ورفع خسأَستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء[٤].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٠٧

(٢)خلاف مشهور بين أهل اللغة في(عسى) أهي حرف أم فعل؟ من نظر إلى كونها لا تنصرف، قال: هي حرف، ومن نظر إلى دخول الضمائر عليها قال : هي فعل، وثعلب –رحمه الله– يرى الأول، ينظر: أصول النحو١/١٩١، وشرح ابن عقيل١/٣٢٢، ومغني اللبيب١/٢٠١

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ع س ى)، ومفاتيح التفسير١/٢٦٦

(٤) جامع البيان١٤/٥٠٥

(٢٠٩) قوله تعالى :﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ الإسراء: ١١

وقال أبو العبَّاس في قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ ﴾قال: يدعو على ابنه وقرابته بالموت، وهو لا يشتهي ذلك[1].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الآية:

الأول: أن اللام في (الإنسان) للجنس، ومعنى الآية: ويدعو الإنسان عند الغضب على نفسه أو أولاده أو قرابته، مثل دعائه بالخير.

وهذا قول عامة المفسِّرين[2].

الثاني: أن اللام للعهد، ويراد به النضر بن الحارث، كما ذكر تعالى ذلك عنه في قوله : ﴿ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ ﴾ الأنفال: ٣٢، وأما قوله:﴿ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ ﴾ يدعو بالمغفرة والرحمة.

روي ذلك عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومقاتل[3].

النتيجة:

الراجح القول الأول وهو قول عامة المفسِّرين، وليس في الآية دليل على التخصيص، وما ذكر عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومقاتل، لا يتعارض مع قول عامة المفسِّرين بل يُعدُّ من التفسير بالمثال، وبهذا يجمع بين الأقوال في الآية، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبر ي١٤/٥١٢-٥١٣، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٢٢٩، والهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤١٥٢، والتفسير البسيط١٣/٢٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٥/٤٩

(٣) ينظر: تنوير المقباس:٢٩٩، وتفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٥١، والتفسير البسيط١٣/٢٧١، وزاد المسير٥/١٣، والبحر المحيط٦/١٤

(٢١٠) قوله تعالى :﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٦

في قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾

قال: يقال: أمّرنا من الإمارة، وآمرنا من الأمر أكثرنا.

وقد سمعوا – أيضاً –: أمرنا خفيف بلا مد أكثرنا . وأمِرْنا كثرنا في أنفسنا، ولا يجوز في القراءة[1].

الدِّراسة:

القراءات في﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ مع توجيهها:

الأولى: قراءة الجمهور(أمَرْنا) ويراد الأمر الذي ضد النهي، والمعنى : إذا أردنا عقاب قرية ظالمة أمرنا مترفيها بالطاعة فإذا عصوا الله تعالى وقع عليهم العذاب.

وقيل يراد الكثرة، والمعنى: إذا أردنا عقاب قرية ظالمة كثَّرنا الفُسَّاق فيها.

الثانية: قراءة(آمرنا) بالمد، عن ابن كثير، ونافع، وعاصم، ويراد بها الكثرة.

الثالثة: قراءة (أمّرنا) رواية عن أبي عمرو، وعاصم، ويراد الكثرة، وقيل: السلطان والإمارة.

واعترض على أن يكون في القرية الواحدة عدة أمراء، وأجيب بأنه ليس المراد بالأمراء الملك والأمير فقط، بل يراد المسئولين في تلك القرية.

والرابعة: قراءة(أمِرنا) عن يحيى بن يعمر[2]، والحسن، ويراد الكثرة.

والقراءة الثالثة والرابعة شاذة[3].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٤١

(٢) يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري، التابعي المقرء، أول من نقط المصاحف، توفي قبل سنة ٩٠هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري٢/٣٨١، وسير أعلام النبلاء٤/٤٤١.

(٣) ينظر: السَّبعة:٢٧٩، والنشر ٢/٣٠٦، ومختصر الشواذ، لابن خالويه :٧٥، وإتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٥، والمحتسب٢/١٥-١٧، وإعراب القراءات الشواذ ١/٧٨٠-٧٨١، وجامع البيان، للطبري ١٤/٥٢٧-٥٣٢، والتفسير البسيط١٣/٢٨٤-٢٩٠

النتيجة:

المختار من القراءات المتواتر منها، وهي الأولى والثانية، والمراد بالأمر هو ما كان ضد النهي، أو يراد به الكثرة، وكلاهما صحيح ومحتمل في الآية، ولا تعارض بينهما، والله أعلم.

(٢١١) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الإسراء: ٤٥

وقال ثعلب: معنى (مستوراً) مانعاً، وجاء على لفظ مفعول، لأنه ستر عن العبد[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى﴿ مَّسْتُورًا ﴾:

الأول: أنه على معنى فاعل من الحجاب أي: حجاب ساتر ومانع من الكفار.

قاله الأخفش[٢]، ومكِّي[٣].

الثاني: أنه على بابه مفعول، والمعنى: جعلنا بينك وبين الكفار حجاباً مستوراً لا يُرى ولا يُبصره أحد، أو مستوراً به الرَّسول ﷺ عن رؤيتهم، ونسب الستر إليه لما كان مستوراً به.

قاله ابن جرير[٤]، والواحدي[٥]، وابن عطية[٦]، والعُكبري[٧]، وأبو حيَّان[٨]، والسَّمين الحلبي[٩].

النتيجة:

الراجح القول الثاني لأن فيها إبقاء لأصل اللفظ على ظاهره، فكانت (مستوراً) على بابه دون صرفه عن ظاهره والأخذ بالرَّدر، وكلام الله تعالى يحمل على المشهور.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٤٦٥، وينظر: لسان العرب٤/٣٤٣

(٢) معاني القرآن٢/٣٩١، وينظر: جامع البيان، للطبري ١٤/٦٠٨، نسبه لأهل البصرة ، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٢٤٢،

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٢١٤

(٤) جامع البيان١٤/٦٠٨

(٥) التفسير البسيط١٣/٣٤٨

(٦) المحرر الوجيز٣/٤٦٠

(٧) إملاء ما من به الرحمن٢/٩٢

(٨) البحر المحيط٦/٤٢

(٩) عمدة الحفاظ، مادة (س ت ر)

ثم إن القول بأنه على معنى فاعل يجعل (مستوراً) مؤكدة لمعنى (حجاباً) فلا بد أن يكون الحجاب ساتراً فهذه وظيفته، أما على القول أنه على بابه ففي ذلك معناً جديد في صفة الحجاب حيث أنه لا يُرى، ومن القواعد في التفسير التأسيس أولى من التوكيد.

(٢١٢) قوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ الإسراء: ٥٠ - ٥١

قال ثعلب: قوله: ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾، معناه: كونوا أشد ما يكون في أنفسكم، فإني أميتكم وأبليكم[١].

﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾

أي: يحركون رؤوسهم، ونغض الظليم مثله. يقال: نَغَضَ. يَنْغُضُ، وأَنْغَضَهُ غيره[٢]

الدِّراسة:

الأقوال في المراد من قوله:﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾:

الأول: الموت، فلا شيء أعظم من الموت في نفس الإنسان.

روي عن ابن عمر وابن عبَّاس رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وابن جريج، وسعيد بن جبير، والضَّحاك[٣].

الثاني: السَّماء والأرض والجبال.

روي عن قتادة[٤].

الثالث: كل ما استعظموه من خلق الله.

روي عن مجاهد، وقتادة[٥]، وقاله ابن جرير[٦]، والنَّحاس[٧]، ومكِّي[٨]، وابن عطية[٩].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١٢/٧

(٢) مجالس ثعلب٥٥٤/٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٦١٦/١٤-٦١٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢٣٣٣/٧

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٦١٨/١٤

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٦١٨/١٤

(٦) جامع البيان٦١٩/١٤

(٧) معاني القرآن١٦٣/٤

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية٤٢٢٠/٦

(٩) المحرر الوجيز٤٦٢/٣

وقوله: ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾

في قول عامة المفسِّرين، أي:حركوا رؤوسهم إلى أعلى وإلى أسفل تكذيباً وإنكاراً[1].

وفي اللغة:نغض رأسه إذا حركه، ومنه قيل للظليم نَغْضَاً، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه[2].

النتيجة:

والأولى حمل اللفظ على عمومه فلا دليل على التخصيص،فيشمل جميع ما كبر في صدور بني آدم.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ٦١٩/١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢٣٣٣/٧، ومعاني القرآن، للزجاج٢٤٤/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية٤٢٢٢/٦، والتفسير البسيط٣٥٩/١٣-٣٦١، والمحرر الوجيز٤٦٢/٣

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ن غ ض)

(٢١٣) قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الإسراء: ٥٩

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ قال الإمامان[١]: يعني –ها هنا– الآيات الشرطيات، التي يشترط معها: لو كذبتم بها هلكتم، وإنما تركها رحمة لأمة محمد عليه السلام[٢].

الدِّراسة:

وعلى هذا البيان جاءت الرِّوايات عن السَّلف في تفسير هذه الآية[٣].

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النَّبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتني منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم. قال: **(لا، بل تستأني بهم)** فأنزل الله : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [٤].

---

(١) هذا قول أبو عمر الزاهد، يريد ثعلباً والمبرِّد، إماما الكوفة والبصرة في اللغة في عصره ،ينظر: ياقوتة الصراط:٢٥٨

(٢) ياقوتة الصراط:٣٠٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٣٥-٦٣٧، والدر المنثور٤/٣٤٤

(٤) أخرجه أحمد في مسنده٤/١٧٣، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله:﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ رقم (١١٢٩٠)، والطبري في جامع البيان١٤/١٣٥

(٢١٤) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

الإسراء: ٦٠

﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ قال : الزقوم [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(الشَّجرة الملعونة):

الأول: شجرة الزقوم.

قول عامة المفسِّرين[٢].

الثاني: شجرة الكشوث[٣].

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤]. قال: هي هذه الشَّجرة التي تلتوي على الشَّجر فتفتله.

قال الواحدي: وهو قول ضعيف وتفسير لا يليق بالآية[٥].

النتيجة:

القول قول عامة المفسِّرين، وتفسير جمهور السَّلف مقدم على كل تفسير شاذ.

وقيل كيف يراد بـــ(الشَّجرة الملعونة) شجرة الزقوم و لم يذكر لها لعن في القرآن؟

وأجيب بجوابين:

الأول: اللعن لآكلها وهم الكفار ملعونين.

الثاني: أن العرب تقول لكل طعام ضار ملعون[٦].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٩٥، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٢/١٥٩، ولسان العرب١٣/٣٨٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٤٧-١٥١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٣٥-٢٣٣٦، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٢٤٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٤/١٦٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٤٢٣٦، والتفسير البسيط١٣/٣٨٠، والمحرر الوجيز٣/٤٦٨

(٣) نبت يتعلق بأغصان الشَّجر، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومختار الصحاح، مادةك ش ث)

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/١٥١، والهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٢٣٧

(٥) التفسير البسيط١٣/٣٨٣

(٦) ينظر: معاني القرآن، للزجاج ٣/٢٤٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٤/١٧٠، والتفسير البسيط ١٣/٣٨٢، والمحرر

(٢١٥) قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ ﴾

قال : استخفف [١].

الدِّراسة:

استفزز، أي: استخف وأزعج من استطعت منهم.

هذا قول عامة المفسِّرين[٢].

وفي اللغة: فَزَّه فَزًّا وأَفَزَّه: أزعجه وأفزعه واستخفه، ورجل فزٌّ أي: خفيف[٣].

والأمر إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد والتهديد، لأنك تقول: لا تدخل هذه الدار، فإذا حاول أن يدخله، قلت : ادخلها، فلست تأمره ولكنك تتوعده، ومثله في هذه الآية فأمر الله تعالى على سبيل الوعيد والتهديد لإبليس[٤].

الوجيز٣/٤٦٨

(١) مجالس ثعلب١/١٥٧

(٢) ينظر: غريب القرآن لليزيدي:٢١٨، ومعاني القرآن، للفراء٢/١٢٧، وجامع البيان، للطبري١٤/٦٥٦، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٢٥٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٣٣٧، ومعاني القرآن، للنحاس ٤/١٧٢، والهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٢٤١، والتفسير البسيط١٣/٣٨٩، والمحرر الوجيز٣/٤٧٠، والدر المصون٧/٣٨١

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ف ز ز)

(٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٢٥١

(٢١٦) قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾

يقال: أجلب على القوم، إذا اجتمعت ألا وهم [١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الإجلاب في الآية:

الأول: الصياح.

والمعنى: صح عليهم بأعوانك من يصرفهم عن الطاعة ويدعوهم إلى معصية الله.

قاله الفرَّاء، وأبو عبيدة[٢]، وابن عطية[٣].

الثاني: الجمع.

والمعنى: اجمع عليهم مِنْ أعاونك مَنْ يدعوهم إلى المعصية.

قاله ابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، ومكِّي[٦]، والبغوي[٧]، والقرطبي[٨]، والسَّمين الحلبي[٩].

الثالث: العون.

والمعنى: أعن نفسك عليهم بخيلك ورجلك، على تقدير محذوف.

روي عن مقاتل[١٠].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٥٦

(٢) ينظر: التفسير البسيط١٣/٣٩١

(٣) المحرر الوجيز٣/٤٧٠

(٤) جامع البيان١٤/٦٥٨

(٥) معاني القرآن٣/٢٥٠

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٢٤٢

(٧) معالم التنزيل٥/١٠٥

(٨) الجامع لأحكام القرآن١٣/١١٨

(٩) الدر المصون٧/٣٨١

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان٢/٢٦٤

النتيجة:

جاءت الجلبة في اللغة على معنى الجمع والصياح [1]، وهذه المعاني هي الأولى في الآية، مع المحافظة على أصل السياق دون تقدير، والقاعدة: إذا كان للكلام وجه صحيح على سياقه الأصلي دون تقدير فهو الأولى.

والمعنى: صِحْ بكل جيوشك واجمعهم لأجل إضلال بني آدم.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادةج ل ب)

(٢١٧) قوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ الإسراء: ٧٥

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾

قال: ضعف عذاب الحياة الدنيا، وضعف عذاب الممات(١).

الدِّراسة:

ومعنى الآية في قول عامة المفسِّرين على تقدير حذف مضاف، أي: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، ويراد: عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة(٢).

ولعلو درجة الأنبياء عليهم السلام وأزواجهم، فإن لهم الضعف في العقاب والجزاء(٣)، كما قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٠ – ٣١

وفي حديث عبد اللَّهِ بن مسعود ﷺ في الصحيحين قال: دَخَلْتُ على رسول اللَّهِ ﷺ وهو يُوعَكُ فَمَسسْتُهُ بيَدِي فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (**أَجَلْ إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**)، قال فقلت: ذلك أَنَّ لك أَجْرَيْنِ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ : (**أَجَل**) ثُمَّ قال ﷺ: (**ما من مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى من مَرَضٍ فما سِوَاهُ إلا حَطَّ الله بِهِ سَيِّئَاتِهِ كما تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرَقَهَا**)(٤).

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢١

(٢) ينظر: مجاز القرآن ١/٣٨٦، وجامع البيان، للطبري١٥/١٦-١٧، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٢٥٤، ومعاني القرآن، للنحاس٤/١٧٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٤٢٥٩، والتفسير البسيط١٣/٤٢١، والكشاف٢/٦٥٧-٦٥٨، والمحرر الوجيز٣/٤٧٥، والبحر المحيط٦/٦٥، والدر المصون٧/٣٩٣

(٣) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٢٥٤، ومعاني القرآن، للنحاس٣/١٧٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٤٢٦٠، والتفسير البسيط١٣/٤٢١، والمحرر الوجيز٣/٤٧٥

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب أشد النَّاس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، رقم (٥٣٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، رقم(٢٥٧١)

(٢١٨) قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ الإسراء: ١١١

﴿ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾

أي: من ينصره ويعينه(١).

الدِّراسة:

ومعنى الآية: أنه تعالى لم يحالف أحداً من خلقه لينصره ويعينه، لأن من احتاج إلى ولي ومعين وناصر، فهو ذليلٌ مُهَان، والله تعالى عزيزٌ قويٌ جبارٌ قهارٌ غنيٌ عن العالمين(٢).

وفي التعريض بهذه الصفات بعد الأمر بالحمد ، إيذانٌ بأن المستحق للحمد من كانت تلك صفاته(٣).

(١) مجالس ثعلب٢/٤٣١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٥/١٣٨، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٢٦٥، ومعاني القرآن، للنحاس ٤/٢٠٨، والتفسير البسيط١٣/٥١٦، وزاد المسير٥/١٠١

(٣) فتح القدير٣/٢٦٦

سورة الكهف

(٢١٩) قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف: ٩

﴿ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾

قال: الرقيم: اللوح المكتوب فيه أنسابه وأنساب أبيه[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المرادبـــ(الرَّقيم):

الأول: اسم للقرية التي هم فيها.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٢].

الثاني: اسم للوادي الذي فيه الكهف.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعطية العوفي، وقتادة، و الضَّحاك [٣]، وقاله أبوعبيدة[٤].

الثالث: اللوح أو الحجارة التي كتب عليه أسماءهم وقصتهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وابن زيد ، والسُّدِّي [٥]، وقاله الفرَّاء[٦]، واليزيدي[٧]، وابن جرير[٨]، والنَّحاس[٩]، والبغوي[١٠].

الرابع: اسم الجبل الذي فيه الكهف.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١١].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٢، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٦/٤٠٧، ولسان العرب١٢/٢٥٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/١٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٤٦

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/١٥٧-١٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٤٦

(٤) مجاز القرآن١/٣٩٤

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٤٦

(٦) معاني القرآن٢/١٣٤

(٧) غريب القرآن:٢٢٣

(٨) جامع البيان١٥/١٦١

(٩) معاني القرآن٤/٢١٩

(١٠) معالم التنزيل٥/١٤٥

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/١٦٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٤٦

الخامس: الله أعلم به.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد[1]، وقاله الزَّجاج[2].

النتيجة:

وأحسن ما قيل فيه أنه الكتاب، لأنه معروف في اللغة[3]، يقال: رقمت الشيء، أي: كتبته.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ المطففين: ٢٠

قال ابن جرير: وإنما الرَّقيم فعيلٌ، أصله مرقومٌ، ثم صرُف إلى فعيلٍ، كما قيل للمجروح جريح، وللمقتول قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا، إذا كتبته، ومنه قيل للرَّقم في الثوب رقمٌ لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه[4].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/١٦٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٤٦

(٢) معاني القرآن٣/٢٦٩

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ر ق م)

(٤) جامع البيان١٥/١٦١، وينظر: غريب القرآن:٢٢٣، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٢١٩، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ر ق م)

(٢٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف: ١٦

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾

قال:لم يعتزلوا الله. كما تقول: ضربت القوم إلا زيداً. المعنى: إلاّ زيداً، فإني لم أضربه[١].

الدِّراسة:

في الآية عدة أوجه على الخلاف في نوع (ما):

الأول: أنها موصولة، والتقدير: وإذا اعتزلتم الذي يعبدونه إلا الله.

وعليه فسَّر الآية الفرَّاء[٢]، وابن جرير [٣]، والزَّجاج [٤]، والنَّحاس [٥]، والواحدي [٦]، والزَّمَخشَري[٧]، وابن عطية[٨]، وأبو حيَّان[٩].

واستدلوا بما روي في مصحف عبدالله بن مسعود ﷺ:(**وما يعبدون من دون الله**)، قالوا : هذا يقطع بكون (ما) اسماً[١٠].

الثاني: أنها مصدرية، والتقدير: وإذا اعتزلتم عبادتهم إلا عبادة الله[١١].

وكلا القولين الأول والثاني على أن الكلام من أصحاب الكهف، وتكون (ما) في محل نصب معطوفة على المفعول في (اعتزلتموهم).

---

(١) مجالس ثعلب١/٣١٨

(٢) معاني القرآن٢/١٣٦

(٣) جامع البيان١٥/١٨١

(٤) معاني القرآن٣/٢٧٢

(٥) معاني القرآن٤/٢٢٣

(٦) التفسير البيسيط١٣/٥٤٨

(٧) الكشاف٢/٦٨٠

(٨) المحرر الوجيز٣/٥٠٢

(٩) البحر المحيط٦/١٠٦

(١٠) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/١٨٢، والتفسير البيسيط١٣/٥٤٨

(١١) ينظر: الدر المصون٧/٤٥٤

الثالث: أنها نافية، وهو من كلام الله تعالى وإخباراً عن حالهم، وتكون جملة (**ما يعبدون إلا الله**) اعتراضيه، والتقدير: ولا يعبدون إلا الله[1].

النتيجة:

القول قول الجمهور، وأن (ما) في محل نصب معطوفة على الضمير المفعول في (اعتزلتموهم)، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من إخراجه، والله أعلم.

(١) ينظر: الكشاف٢/٦٨٠، والبحر المحيط٦/١٠٦، والدر المصون٧/٤٥٤، وروح المعاني٨/٢١٠

(٢٢١) قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾ الكهف: ١٧

وفي التنزيل: ﴿ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾

فسَّره ثعلب: بأنه ما انخفض من الأرض واتسع[١].

الدِّراسة:

وبنحو قول ثعلب -رحمه الله- فسَّر المفسِّرون (فجوة).

قال: سعيد بن جبير: المكان الداخل[٢].

وقال مجاهد: المكان الذاهب[٣].

وقال الفرَّاء وأبو عبيدة وابن جرير وغيرهم: متسع[٤].

والمعنى: أنه تعالى جعل كهفهم واسعاً، وجعلهم في أقصى الكهف، بحيث يكونون بعيدين عن أنظار النَّاس.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٧/٥٦٤

(٢) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/١٨٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٢

(٣) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/١٨٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٢

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/١٣٧، ومجاز القرآن، ١/٣٩٦، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٢٦، وجامع البيان،للطبري١٥/١٨٨، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٢٧٣، والتفسير البيسيط١٣/٥٥٥

(٢٢٢) قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الكهف: ٢٢

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الهاء والميم في فيهم لأصحاب الكهف ، والهاء والميم في منهم لليهود، قاله ثعلب والمبرِّد[1].

الدِّراسة:

قد أجمع المفسِّرون على هذا التفسير، وأن ضمير(فيهم) عائد على أصحاب الكهف، وضمير(منهم) عائد على أهل الكتاب[2].

والأصل في مرجع الضمائر التوافق والإتحاد حذراً من التشتيت وهو الأولى، وهذه الآية من المسائل النادرة التي يذكرها العلماء – ولا يقاس عليها– في مخالفة أصل هذه القاعدة، والسياق ومعنى الآية هو الحكم في ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) البرهان في علوم القرآن٤/٤٣، وينظر: الإتقان في علوم القرآن١/٦٠٠

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/١٣٨، وجامع البيان،للطبري١٥/٢٢٢-٢٢٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٥، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٢٧٨، والتفسير البسيط١٣/٥٨١، والمحرر الوجيز٣/٥٠٨، والجامع لأحكام القرآن١٣/٢٤٩

(٢٢٣) قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ ﴾ الكهف: ٢٥ - ٢٦

قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾ قال ثعلب: وهذا كله وبعده إخبار عمن عدَّهم في القرآن لأنه قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾.

قال: وقوله عز وجل: ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ هو -أيضاً- إخبار عَمَّن عدَّهم، ولم يُصِب[1].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- حول هل تحديد مدة لبث أصحاب الكهف في الآية من كلام الله تعالى، أم من الغير؟

القول الأول: قول ثعلب-رحمه الله- أنها من كلام النَّاس، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ ﴾

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[2]، ومكِّي[3].

قال قتادة: في قوله: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ﴾، قال: في حرف ابن مسعود :(وقالوا ولبثوا)، يعني أنه قال النَّاس، ألا ترى أنه قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾[4].

قال ابن كثير: وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع، يعنون بالشَّمسية، ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال : ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾، وظاهر الآية إنما هو من إخبار الله، لا حكاية عنهم، وهذا اختيار ابن جرير-رحمه الله-.

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٢٢

(٢) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/٢٢٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٥-٢٢٥٦

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٣٥٩

(٤) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/٢٢٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٥-٢٢٥٦

ورواية قتادة في قراءة ابن مسعود منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها، والله أعلم[1].

القول الثاني: أنها من كلام الله تعالى.

روي عن مجاهد، وعبد الله بن عبيد، وابن إسحاق، و الضَّحاك[2]، وقاله ابن قتيبة[3]، وابن جرير[4]، والزَّجاج[5]، والنَّحاس[6]، والبغوي[7]، وابن عطية[8]، وأبو حيَّان[9]، وابن كثير[10]. كثير[10].

وهذا القول يشكل عليه قوله تعالى :﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ ﴾، وأجاب عليه أصحاب هذا القول بثلاثة أجوبة:

الأول: أن الله تعالى قال لنبيه محمد ﷺ، قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم ذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.

قاله ابن جرير[11].

الثاني: أن يكون لما اختلفوا في مقدار ما لبثوا، ثم أخبرهم الله تعالى به، قال الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم:﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ ﴾ أي: هو أعلم به من المختلفين فيه.

قاله ابن قتيبة[12]،. . . . . .

(١) تفسير القرآن العظيم٥/١٥١

(٢) ينظر: جامع البيان،للطبري١٥/٢٢٩-٢٣٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٦

(٣) غريب القرآن١/٢٦٧

(٤) جامع البيان١٥/٢٣١

(٥) معاني القرآن٣/٢٧٩

(٦) معاني القرآن٤/٢٢٦

(٧) معالم التنزيل٥/١٦٤

(٨) المحرر الوجيز٣/٥١٠

(٩) البحر المحيط٦/١١٦

(١٠) تفسير القرآن العظيم٥/١٥٠

(١١) جامع البيان١٥/٢٣١

(١٢) غريب القرآن١/٢٦٧

والبغوي[1]، وابن عطية[2]،وابن كثير[3].

الثالث: أن يكون (أعلم) بمعنى عالم، وذلك كثير في كلام العرب، أي: الله عالم بما لبثوا. قاله المبرِّد، والنَّحاس[4]، وأبوحيَّان[5].

النتيجة:

القول قول جمهور المفسِّرين، وأنه إخبار من الله تعالى بمدة لبثهم في الكهف، وليس من كلام النَّاس، وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- سبب ضعف القول الأول.

وأما ما احتمل قول الجمهور من م شكل، فقد أجيب عليه بثلاثة أجوبة أحسنها الثاني، وهو توجيه من الله تعالى لعباده المختلفين في مدة لبث أصحاب الكهف، أن يردوا علم الغيب إليه سبحانه، والله تعالى أعلم.

---

(١) معالم التنزيل٥/١٦٤

(٢) المحرر الوجيز٣/٥١٠

(٣) تفسير القرآن العظيم٥/١٥٠

(٤) ينظر: معاني القرآن٤/٢٢٧، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٣٦١

(٥) البحر المحيط٦/١١٦

(٢٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ الكهف: ٢٨

عن أبي العلبسَّ أنه سُئِلَ عن قول اللَّهِ : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ ، فقال: من جعلناه غافلاً، قال: ويكون في الكلام: أغفلتهُ: سَمَّيْتُهُ غافلاً، وأَحْلمْتُهُ سميته حليماً[1].

الدِّراسة:

في قول أبي العبَّاس ثعلب -رحمه الله- رد على المعتزلة التي تعتقد أن الله لا يقدر إلا الخير.

الأقوال في الآية:

الأول: جعلنا قلبه غافلاً.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[2].

الثاني: وجدنا قلبه غافلاً، أو جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان.

وقيِّد ذلك بالخذلان حتى يتحاشى خلق الله الغفلة في قلبه.

وهذا قول المعتزلة[3].

النتيجة:

القول قول أهل السنة والجماعة، وعليه تفسير جمهور المفسِّرين.

---

(١) تهذيب اللغة٨/١٣٨، وينظر: التفسير البسيط١٣/٦٠٠

(٢) ينظر: وجامع البيان، للطبري ١٥/٢٤١، والتفسير البسيط ١٣/٦٠٠، وزاد المسير 5/١٣٣، والجامع لأحكام القرآن١٣/٢٥٩، والبحر المحيط٦/١٢٠، والدر المصون٧/٤٧٥

(٣) ينظر: المحتسب٢/٢٨، والكشاف٢/٦٩٠، والبحر المحيط٦/١٢٠، والدر المصون٧/٤٧٥

(٢٢٥) قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الكهف: ٢٩

قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ قال ثعلب: هذا تهديد ووعيد، كما قال: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ إنما هو تهديد ووعيد، وليس بأمر[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: هذا أسلوب القرآن في بعض آياته أن يأتي الأمر على معنى التهديد والوعيد.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وابن زيد[٢]، وقاله ابن جرير[٣]، والزَّجاج[٤]، والنَّحاس[٥]، والواحدي[٦]، والبغوي[٧]، وابن عطية[٨]، وأبو حيَّان[٩]، والسَّمين الحلبي[١٠].

قال ابن جرير: وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد، وقد بيَّن أن ذلك كذلك قوله: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾، والآيات بعدها[١١].

وقد سبق أن ذكرت قول الزَّجاج[١٢] أن الأمر إذا تقدمه نهي فالمعنى على التهديد والوعيد، وقبل هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٢٤

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٢٤٤-٢٤٥، وتفسير القرآن العظيم٧/٢٣٥٨

(٣) جامع البيان١٥/٢٤٤

(٤) معاني القرآن، للزجاج٣/٢٨١

(٥) معاني القرآن، للنحاس٤/٢٣٢

(٦) التفسير البسيط١٣/٦٠٤

(٧) معالم التنزيل٥/١٦٧

(٨) المحرر الوجيز٣/٥١٣

(٩) البحر المحيط٦/١٢٠

(١٠) الدر المصون٧/٤٧٧

(١١) جامع البيان١٥/٢٤٤

(١٢) ينظر: صفحة:٥٥٠، من هذه الرسالة.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨.

الثاني: أن الآية على معنى إثبات مشيئة الله تعالى، أي: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كَفَرَ.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[1].

النتيجة:

القول الراجح قول جمهور المفسِّرين، وفاعل (شاء) ضمير يعود على(مَنْ)، وقول جمهور السَّلف مقدم على كل تفسير شاذ، وكلام الله يحمل على المشهور من أسلوب القرآن.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٢٤٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٥٨

(٢٢٦) قوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الكهف: ٤٠

وقال ثعلب: الحسبان المرامي، وبه فسَّر قوله:﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١).

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(الحُسْبَانَ):

الأول: عذاب من السَّماء.

روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وقتادة، والضَّحاك، وابن زيد(٢).

الثاني: عذاب من السَّماء ترمى به، والحسبان جمع حسبانه، وهي المرامي.

قاله أبو عبيدة(٣)،واليزيدي(٤)، وابن جرير(٥)، ومكِّي(٦).

الثالث: أن الحسبان والحساب واحد، والمعنى: يرسل عليها عذابَ حسابَ ما كسبت يداه.

قاله النَّحاس(٧)، والراغب الأصفهاني(٨)، والزَّمَخشَري(٩)، وابن عطية(١٠).

النتيجة:

القاعدة أنه يقلل من المقدر ما أمكن، لأجل ذلك فالقول الراجح هو القول الثاني، والمراد بالحسبان المرامي، ولا يعارض هذا القولُ القولَ الأول، لأن تفسير السَّلف بالمعنى مجمل في بيانه، والله أعلم.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٣/٢٠٧

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري١٥/٢٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٦٣

(٣) مجاز القرآن١/٤٠٣

(٤) غريب القرآن:٢٢٩

(٥) جامع البيان١٥/٢٦٥

(٦) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٤٣

(٧) معاني القرآن٤/٢٤٥

(٨) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ح س ب)

(٩) الكشاف٢/٦٩٥

(١٠) المحرر الوجيز٣/٥١٨

(٢٢٧) قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾

قال: إن كان إبليس من الملائكة فهو متصل. وان لم يكن فهو منقطع.

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ قال: كل ما استتر فهو من الجن.

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾

قال: الجن صنف من الملائكة: وكل ما استتر يسمى جناً[١].

الدِّراسة:

اختار ثعلب -رحمه الله- أن يكون إبليس من الملائكة والاستثناء متصل، ثم دفع ما يوهم خلاف هذا عند قوله تعالى﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾، فقال: كل ما استتر فهو من الجن، أي: أن هذه الجملة وصف لإبليس لا لقصد إخراجه من جنس الملائكة.

وللعلماء في هل إبليس من الملائكة أم لا؟ أقوال بناء على نوع الاستثناء ومعنى ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾، وهذه أقوالهم:

الأول: أنه من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس رضي الله عنهم، وقتادة، والضَّحاك[٢].

الثاني: أنه من خُزَّان الجنَّة من الملائكة، يقال لهم: الجن.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس رضي الله عنهم[٣].

الثالث: لأنه من الذين استَتَرُوا عن أعين بني آدم، فقيل له: جن.

روي عن ابن إسحاق[٤].

---

(١) مجالس ثعلب١/٥٨، ١٤٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١/٥٣٥-٥٣٩

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١/٥٣٥-٥٣٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١/٥٣٨

والاستثناء على هذه الأقوال متصل، وإبليس من جنس الملائكة.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[1]

واستدلوا بأن خطاب السُّجود كان للملائكة ، فلو لم يكن منهم لما وقع عليه ذم لتركه فعل ما لم يؤمر.

وكذلك وصفه تعالى للملائكة بالجن :﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الصافات: ١٥٨، وهو قولهم أن الملائكة بنات الله ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الإسراء: ٤٠، فالملائكة توصف بذلك لأنها تستتر عن الأنظار.

الرابع: أنه ليس من الملائكة، وإبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

والاستثناء على هذا القول منقطع.

روي عن الحسن، وابن زيد[2]، وقاله الزَّمَخشَري[3].

واستدلوا بقوله: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ فأخبر تعالى أنه من جنس آخر غير جنس الملائكة، وهم الجن، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

والأقوال الثلاثة الأولى جواب على هذا الدليل، ومنها أنه من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن.

واستدلوا بأنه خلق من نار والملائكة من نور، ولأن له ذرية والملائكة ليس لها.

وأجاب على هذا الدليل ابن جرير فقال: وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور، وبعضاً من نار، وبعضاً مما شاء من غير ذلك.

وليس فيما ترك الله تعالى ذكره الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس، ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم، إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ١/٥٣٥-٥٣٩، والتفسير البسيط ١٣/٣٧١-٣٧٤، ومعالم التنزيل ١/٨٢، والمحرر الوجيز٣/١٢٤، والبحر المحيط٦/١٥٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١/٥٣٩-٥٤١

(٣) الكشاف٢/٦٩٩

ملائكته من نار كان منهم إبليس ، وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته.

وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية ، لما ركَّب فيه من الشهوة واللذة التي نُوعت من سائر الملائكة، لما أراد الله به من المعصية[1].

النتيجة:

الراجح القول بأن الاستثناء متصل، وإبليس من الملائكة، وهذا قول جمهور المفسِّرين، ويؤيده ظاهر النص بأن الخطاب للملائكة، وما يمكن أن يعترض على هذا القول، فقد سبق الإجابة عليه في مبحث الدِّراسة، والله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان١/٥٤٢

(٢٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠

وقال الأخفش في قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ قال: عن ردِّه أمْرَ ربه، نحوُ قول العرب: اتَّخَمَ عن الطعام، أي: عن أكلِه الطعام، ولَّما رَدَّ هذا الأمرَ فسقَ.

قال أبو العبَّاس: ولا حاجة به إلى هذا لأنَّ الفسوقَ معناه الخروجُ: فَسَق عن أَمْرِ ربِّهِ ، أي: خرَج[١].

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ يقال: فسق الشيء إذا خرج من حال إلى حال . ويقال: فسقت الرطبة إذا خرجت[٢] .

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: خرج عن أمر ربه.

قاله الفرَّاء[٣]، و الزَّجاج[٤]، والنَّحاس[٥]، والبغوي[٦]، والزَّمَخشَري[٧]، وابن عطية[٨]، وأبو حيَّان[٩].

الثاني: جار ومال عن أمر الله.

قاله أبو عبيدة[١٠].

---

(١) تهذيب اللغة٨/٣١٥

(٢) مجالس ثعلب١/١١٥

(٣) معاني القرآن٢/١٤٧

(٤) معاني القرآن٣/٢٩٤

(٥) معاني القرآن٤/٢٥٤

(٦) معالم التنزيل٥/١٧٨

(٧) الكشاف٢/٦٩٩

(٨) المحرر الوجيز٣/٥٢٢

(٩) البحر المحيط٦/١٣٦

(١٠) مجاز القرآن١/٤٠٦

واختار ابن جرير الأول والثاني[1]، لموافقته معنى لفظ (فسق) في اللغة[2].

الثالث: رد أمر ربه.

قاله الأخفش[3].

النتيجة:

كل الأقوال محتملة في تفسير الآية، ولكن الموافق منها لمعنى لفظ (فسق) في اللغة هو القول الأول والثاني وهو ما اختاره ابن جرير.

وأما القول الثالث فهو تفسير بلازم معنى (فسق)، صار فاسقاً، فرد أمر ربه، ولأجل ذلك قال ثعلب بعد قول الأخفش: ولا حاجة به إلى هذا، لأن الفسوق معناه الخروجُ: فَسَق عن أَمْرِ ربِّهِ، أي: خرَج[4].

(١) جامع البيان١٥/٢٩٠

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ف س ق)، وجامع البيان، للطبري١٥/٢٩٠

(٣) معاني القرآن٢/٣٩٧

(٤) تهذيب اللغة٨/٣١٥

(٢٢٩) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٠

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾، قيل: معناه سنة، وقيل: معناه سنين، وبسنين فسَّره ثعلب، فالحُقَب على تفسير ثعلب، يكون أقل من ثمانين سنة، لأن موسى عليه السلام، لم ينو أن يسير ثمانين سنة ولا أكثر، وذلك أن بقية عمره في ذلك الوقت لا تحتمل ذلك(١).

الدِّراسة:

الأحقاب جمع كثرة، وحُقَب جمع قلة، ومفرده حِقْبة

وجاءت في الآية على جمع القلة، وفي تفسيرها أقوال:

الأول: ثمانون سنة.

روي عن أبي هريرة، وابن عبَّاس، وعبد الله بن عمرو ﷺ، وسعيد بن جبير، وقتادة، و الرَّبيع ابن أنس(٢)، وقال به الفرَّاء(٣)، والزَّجاج(٤)، ومكِّي(٥)، والزَّمَخشَري(٦)، وأبو حيَّان (٧)، والسَّمين الحلبي(٨).

الثاني: فترة من الزمن وسنين.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، وابن زيد(٩)، وقاله أ بو عبيدة (١٠)، واليزيدي(١١)، وابن جرير(١٢)، .....

(١) المحكم والمحيط الأعظم٣/٢١، وينظر: مجالس ثعلب١/٣٢٢، ولسان العرب١/٣٢٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٣١٠، ٢٤/٢٤-٢٥

(٣) معاني القرآن٣/٢٢٨

(٤) معاني القرآن٥/٢٧٣

(٥) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٤٤

(٦) الكشاف٢/٧٠٣

(٧) تذكرة الأريب، مادة(ح ق ب)

(٨) عمدة الحفاظ، مادة(ح ق ب)

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٣١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٧٦

(١٠) مجاز القرآن١/٤٠٩

(١١) غريب القرآن:٢٣٢

(١٢) جامع البيان١٥/٣٠٩

والنَّحاس[١]، والراغب[٢]، وابن عطية[٣]، وابن كثير[٤].

الثالث: ثلاثمائة سنة.

روي عن بُشَير بن كعب[٥][٦].

الرابع: سبعون ألف سنة.

روي عن الحسن[٧].

الخامس : بضع وثمانون سنة[٨].

السادس: سبعون سنة.

روي عن مجاهد[٩].

النتيجة:

والراجح أن المراد بالآية دهراً من الزمن طويلاً، لأن موسى عليه السلام قصده المبالغة في بيان حرصه ورغبته في بلوغ مجمع البحرين وإن استمر في السير سنين عددا، ثم هو بقي من عمره أقل من سبعين سنة، فلا يناسب أن يراد بالحُقَب هذه المدة أو أكثر.

قال النَّحاس: الذي يعرفه أهل اللغة أن الحُقَب، والحِقْبة: زمان من الدهر مبهم، غير محدد، كما أن (قوماً) و(رهطاً) مبهم غير محدد[١٠].

ويؤيد هذا القول قوله تعالى في جزاء أهل النَّار: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ النبأ: ٢٣ وهو أَبِدِيَ بدون مدة محددة، والله أعلم.

---

(١) معاني القرآن٤/٢٦٤

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادةح ق ب)

(٣) المحرر الوجيز٣/٥٢٨

(٤) تفسير القرآن العظيم٥/١٧٤

(٥) بُشَير بن كعب بن أُبي، أبو أيوب الحميري العدوي البصري، الفقيه العابدتابعي، وينظر: طبقات ابن سعد٧/٢٢٣، وسير أعلام النبلاء٤/٣٥١.

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٤/٢٣

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٤/٢٥

(٨) ينظر: التفسير البسيط١٤/٦٩، وزاد المسير٥/١٦٥

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٣١٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٣٧٦

(١٠) معاني القرآن٤/٢٦٤

قال الفرَّاء عن آية سورة النبأ: وليس هذا مما يدل على غاية، كما يظن بعض النَّاس، وإنما يدل على الغايةِ التوقيت، خمسة أحقاب أو عشرة[1].

(١) ينظر: تهذيب اللغة٤/٧٣، ولسان العرب١/٣٢٦

(٢٣٠) قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الكهف: ٧٣

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ لا تُحَمِّلْنِي[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: لا تغشَ قني.

قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٢].

الثاني: لا تغشني.

قاله أبو عبيدة[٣]، وابن قتيبة[٤]، وابن جرير[٥]، والزَّجاج[٦]، والنَّحاس[٧]، والبغوي[٨]، وأبو حيَّان[٩].

الثالث:لا تحملني.

واختاره السَّمين الحلبي مع لا تغشني[١٠].

الرابع: لا تكلفني.

قاله الكلبي[١١]، وابن عطية[١٢]، واختاره الواحدي مع لا تغشَ قني[١٣].

الخامس: لا تعجلني.

---

(١) شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى:٤٨

(٢) ينظر: النكت والعيون٣/٣٢٨، والتفسير البسيط١٤/٨٨

(٣) مجاز القرآن١/٤١٠

(٤) غريب القرآن١/٢٦٩

(٥) جامع البيان١٥/٣٣٩

(٦) معاني القرآن٣/٣٠٢

(٧) معاني القرآن٤/٢٧٠

(٨) معالم التنزيل٥/١٩٠

(٩) تحفة الأريب، مادة(ر ه ق)

(١٠) عمدة الحفاظ مادة(ر ه ق)، والدر المصون٧/٥٢٨

(١١) ينظر: النكت والعيون٣/٣٢٨، والتفسير البسيط١٤/٨٩

(١٢) المحرر الوجيز٣/٥٣١

(١٣) التفسير البسيط١٤/٩٠

قاله الفرَّاء[1]، وابن الجوزي[2].

وقال الواحدي: وقول الفرَّاء بعيد في تفسير الآية[3].

النتيجة:

رهقه الأمر: غشيه بقهر، وأرهق الصلاة، إذا أخرها حتى يغشى وقت الأخرى ، وأرهقه إذا حمله وكلفه بأمر عسير[4].

فكل المعاني المذكورة صحيحة في العربية، محتملة لمعنى الآية، ما عدا قول لا تعجلني ففيه بعد لسياق الآية، وغيره أولى، والله تعالى أعلم.

(١) معاني القرآن٢/١٥٥

(٢) تذكرة الأريب١/٣٢٢

(٣) التفسير البسيط١٤/٩٠

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ر ه ق)

(٢٣١) قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الكهف: ٨٠

﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾

قال : ظننا أن يلقيهما في شَرّ (١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: علمنا أن يلقيهما في شر أو ظننا.

والخشية هي الخوف، والعرب قد تضع الخوف موضع والظن، والظن موضع الخوف، والظن هنا على معنى العلم(٢).

قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما(٣)، والفرَّاء(٤)، وابن جرير(٥)، ومكِّي(٦)، والبغوي(٧).

قال الفرَّاء: وهي مثل قوله: ﴿ ٱلْخَرْقِ ٱلدُّخَّانِ ٱلْخَاسِئَةَ ﴾ البقرة: ٢٢٩، إلا أن يعلما ويظناً، والخوف والظن يذهب بهما مذهب العلم(٨).

قال ابن جرير: والخشية والخوف وجَّههما العرب إلى معنى الظن، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيان(٩).

الثاني: كرهنا أن يلقيهما في شر أو في الكفر.

قاله قطرب(١٠)، .....

(١) مجالس ثعلب١/٢٧١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(خ ش ى)، وجامع البيان، للطبري٤/١٣٥

(٣) ينظر: التفسير البسيط١٤/١١٨، وزاد المسير٥/١٧٩

(٤) معاني القرآن٢/١٥٧

(٥) جامع البيان١٥/٣٥٦

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٤٤٤٠

(٧) معالم التنزيل٥/١٩٤

(٨) معاني القرآن٢/١٥٧

(٩) جامع البيان١٥/٤، ١٣٥/٣٥٧

(١٠) ينظر: التفسير البسيط١٤/١١٩

والأخفش[1]، والزَّجاج[2]، وابن الأنباري[3]، والزَّمَخشَري[4].

قال الزَّجاج: لأن الخشية من الله عز وجل معناه الكراهة، ومعناها من الآدميين الخوف[5].

الثالث: أن الخشية على بابها بمعنى الخوف، وهو من كلام الخضر بدليل قوله ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ الكهف: ٨١، و لم يقل(فأردت أن أبدلهما) أو (فأراد ربك).

قاله الزَّجاج[6]، والزَّمَخشَري[7]، وأبو حيَّان[8].

الرابع: أنها استعارة، أي على ظن المخلوقين والمخاطبين، لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين.

قاله ابن عطية[9].

النتيجة:

الأولى أن هذا الحديث من قول الخضر، والخشية على بابها بمعنى الخوف، والله تعالى يقص في كتابه ما جرى بين موسى عليه السلام والخضر من حديث، ويدل على ذلك سياق الآيات القبلي والبعدي، والله تعالى أعلم.

(١) معاني القرآن٢/٣٩٨
(٢) معاني القرآن٣/٣٠٥
(٣) ينظر: التفسير البسيط١٤/١١٨
(٤) الكشاف٢/٧١٣
(٥) معاني القرآن٣/٣٠٥
(٦) معاني القرآن٣/٣٠٥
(٧) الكشاف٢/٧١٣
(٨) البحر المحيط٦/١٥٥
(٩) المحرر الوجيز٣/٥٣٦

(٢٣٢) ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ ﴾
الكهف: ٩٣

واختلف القراء في ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها[١].

وهل المعنى واحد أم لا؟ فيه قولان:

أحدها: أنه واحد، قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسدَّ ما وراءه، فهو سدٌّ وسدُ، نحو الضعَف والضعُف، والفقَر والفقُر، قال الكسائي وثعلب: السدَّ والسُّ د لغتان بمعنى واحد[٢]، وهذا مذهب الزَّجاج[٣].

والثاني أنهما يختلفان، وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضموم ، وما هو ما من فعل الآدميين فهو مفتوح، قاله ابن عبَّاس، وعكرمة[٤]، وأبو عبيدة[٥]، قال الفرَّاء وعلى هذا رأيت المشيخة المشيخة وأهل العلم من النحويين[٦].

والثاني: أن السدَّ بفتح السين الحاجز بين الشيئين، والسدُّ بضمها الغشاوة في العين ، قاله أبو عمرو بن العلاء[٧] [٨].

الدِّراسة:

ذكر ابن الجوزي في كتابه زاد المسير، القراءات في ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾، ثم ذكر الخلاف بين أهل العلم في معنى القراءتين، والذي يظهر أنهما قراءتان صحيحتان، وهما لغتان بمعنى واحد، ومن

(١) ينظر: السَّبعة:٢٩٤، وجامع البيان، للداني٣/١٣٢١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، مادة(س د)، والقراءات وعلل النحويين فيها١/٣٥٣، والتفسير البسيط١٤/١٤٠

(٣) معاني القرآن٣/٣١٠

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٣٨٥

(٥) مجاز القرآن١/٤١٤

(٦) لم أجده في كتابه المعاني، ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع٢/٧٥

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٣٨٥

(٨) زاد المسير٥/١٨٩

فرق بينهما فيحتاج إلى دليل على ذلك من كلام العرب، فالسدَّ والسدُّ الحاجز بين جبلين، سواء من صنع الخالق أو الخلق.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، ولا معنى للفرق الذي ذُكر عن أبي عمرو بن العلاء، وعكرمة بين السدَّ والسدُّ، لأنَّ لم نجد لذلك شاهداً يبـــين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكي عنهما.

ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذي روي لنا عنهم في ذلك قول، لم يحُك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه، ولو كانا مختلفي المعنى، لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق، ففسَّر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك.

وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك فإن الذي نقل ذلك عن أيوب هارون وفي نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه[1].

(١) جامع البيان١٥/٣٨٥، وينظر: معاني القرآن، للنحاس٤/٢٩٢

(٢٣٣) قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ الكهف: ٩٨

وقال الله جلّ وعزّ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾

أخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: قال الأخفش في قوله: جعَله دكّاً بالتنوين، كأنَّه قال: دَكّه دَكّاً، مصدرٌ مؤكِّد.

قال: ويجوز جعلُه أرضاً ذات دَكّ، كقوله تعالى: ﴿ إِبْرَاهِيمَ الْحَجَرِ ﴾ يوسف: ٨٢

قال: ومن قرأها: (دكَّاء) ممدوداً، أراد: جعله مثل دَكَّاء، وحذف مِثل[1].

قال أبو العبَّاس: ولا حاجةَ به إلى مِثل، وإنما المعنى: جعل الجبل أرضاً دكّاء واحداً[2].

الدِّراسة:

ذكر الأزهري في كتابه تهذيب اللغة توجيه العلماء لقراءة ﴿ دَكَّاءَ ﴾ على الخلاف في قراءتها، فحمزة وعاصم والكسائي بالمد والهمز على أنها مضاف إليه أو صفة لموصوف محذوف ، والباقون قرأها بالتنوين على أنها مصدر(دكاً)[3].

وعلة من قدر مضاف أو موصوف، أن الجبل مذكر والصفة أو المضاف إليه مؤنث، فلا بد من تقدير مؤنث محذوف، وعلى هذا جاء توجيه ثعلب والأخفش لقراءة الكوفيين.

(١) لم أجده في كتابه المعاني، وينظر: مختار الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، مادة(د ك ك)

(٢) تهذيب اللغة٣٢٣/٩

(٣) ينظر: السَّبعة:٢٩٦، وجامع البيان، للداني ١٣٢٨/٣، و الكشف عن وجوه القراءات السبع٨١/٢، وحجة القراءات، لابن زنجلة:٤٣٥

سورة مريم

(٢٣٤) قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ مريم: ١٣

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾

أي: رحمة [١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(حناناً):

الأول: ورحمة من عندنا.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة، والضَّحاك[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، وأبو عبيدة[٤]، واليزيدي[٥]، ومكِّي[٦]، والبغوي[٧]، وأبو حيَّان[٨]، والسَّمين الحلبي[٩].

الثاني: وتعطفاً من عندنا.

روي عن مجاهد[١٠].

الثالث: ومحبة من عندنا.

روي عن عكرمة، وابن زيد[١١].

الرابع: وتعظيماً منا له.

روي عن عطاء بن أبي رباح[١٢].

الخامس: رحمة ومحبة منا.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٧٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٠١

(٣) معاني القرآن٢/١٦٣

(٤) مجاز القرآن٢/٢

(٥) غريب القرآن:٢٣٧

(٦) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٤٨

(٧) معالم التنزيل٥/٢٢١

(٨) البحر المحيط٦/١٧٧

(٩) عمدة الحفاظ، مادة(ح ن ن)

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٧٦

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٧٧

(١٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٧٧

قاله ابن جرير[1].

السادس: رحمة وعطف منا.

قاله الزَّجاج[2]، والواحدي[3].

النتيجة:

أصل الحنين التراع المتضمن للإشفاق، ومنه حنين الناقة والمرأة على ولدها، وحنين الجذع الذي كان يخطب عليه النَّبي ﷺ[4].

وهذا الحنين متضمن للرحمة والمحبة والعطف والإشفاق، وحول هذا جاء تفسير السَّلف لمعنى الآية، ولا تعارض بينها لأنها على معنى واحد.

وأما القول بالتعظيم فبعيد دخوله في معنى الحنين، والله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان١٥/٤٧٥

(٢) معاني القرآن٣/٣٢٢

(٣) التفسير البسيط١٤/٢٠٧

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ح ن ن)

(٢٣٥) قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ مريم: ١٨

﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾

قالت: أنا أعوذ بالله أن تفعل ما لا ينبغي إن كنت تقيًّ(١).

الدِّراسة:

في معنى الآية أوجه على حسب الخلاف في تقدير جواب الشرط:

الأول: ما ذهب إليه ثعلب -رحمه الله- إني أعوذ بالله منك إن كنت ذا تقوى لله تتقي محارمة، فلا تفعل ما لا ينبغي أو فلا تتعرض لي.

قاله القرطبي(٢)، وأبو حيَّان(٣)، وابن كثير(٤)، والشَّوكاني(٥).

الثاني: إني أعوذ بالله إن كنت تتقي الله في استجارتي منك، فإني عائذة بالله.

قاله الزَّمَخشَري(٦).

ذكر هذين الوجهين ابن جرير(٧).

الثالث: إني أعوذ بالله منك إن كنت تقياً فتتعظ بتعوذي بالله منك.

قاله الزَّجاج(٨)، والنَّحاس(٩).

وضعف الألوسي هذا القول، وقال: والأولى عليه تتعظ بإسقاط الفاء، لأن المضارع الواقع جواباً لا يقترن بالفاء، فيحتاج على جعله مرفوعاً بتقدير مبتدأ(١٠).

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٧١

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٣/٤٢٩

(٣) البحر المحيط٦/١٨٠

(٤) تفسير القرآن العظيم٥/٢٢٠

(٥) فتح القدير٣/٣٢٨

(٦) الكشاف٣/٩

(٧) جامع البيان١٥/٤٨٧، وينظر: البحر المحيط٦/١٨٠، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٦٠، وروح المعاني ٨/٣٩٥-٣٩٦

(٨) معاني القرآن٣/٣٢٣

(٩) معاني القرآن٤/٣١٩

(١٠) وروح المعاني٨/٣٩٦

النتيجة:

الظاهر أن كلا القولين الأول والثاني محتمل ولا تعارض بينهما وجائز في معنى الآية والإعراب، لأن من كان ذا تُقى فإنه معظم للاستعاذة بالله ومحارمه.

(٢٣٦) قوله تعالى :﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ مريم: ٢٣

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾

قال: النسي خِرَق الحيض التي يرمى بها.

أي: وكنت هذا فيرمى بي (١).

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(النَّسيِّ):

الأول: الا شيء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد(٢).

الثاني: الشيء الذي لا يعرف ولا يذكر.

روي عن السُّدِّي، وقتادة(٣).

الثالث: السقط من المتاع والحاجة.

روي عن الرَّبيع بن أنس(٤).

الرابع: الشيء التافه المتروك لا يؤبه به.

قاله أبو عبيدة(٥)، واليزيدي(٦)، والراغب(٧)، وابن عطية(٨)، وأبو حيَّان(٩)، والسَّمين الحلبي(١٠).

الحلبي(١٠).

(١) مجالس ثعلب٢/٣٥٣، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٨١، ولسان العرب١٥/٣٢٤

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٩٩-٥٠٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٤٩٩-٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٠٤

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٠٤

(٥) مجاز القرآن٢/٤

(٦) غريب القرآن:٢٣٧

(٧) ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ن س ى)

(٨) المحرر الوجيز٤/١٠

(٩) البحر المحيط٦/١٨٣

(١٠) عمدة الحفاظ، مادة(ن س ي)

الخامس: خِرق دم الحيض.

روي عن عكرمة[1]، وقاله الفرَّاء[2]، وابن جرير[3].

السادس: كل ما تقدم من أقوال.

قاله ابن كثير[4].

النتيجة:

إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها، والأقوال في معنى (الرَّسِّي) صحيحة في اللغة محتملة لمعنى الآية، والكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف وقصر معناها إلى بعض وجوهها دون دليل على ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٠٤

(٢) معاني القرآن٢/١٦٤

(٣) جامع البيان١٥/٤٩٨

(٤) تفسير القرآن العظيم٥/٢٢٣

(٢٣٧) قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ مريم: ٢٩

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾

أي: من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه؟(١)

الدِّراسة:

تعجب قوم مريم من كلام عيسى عليه السلام وهو في المهد، لكن تعجبهم في ظاهر الآية أنه بعد ما كبر وتجاوز السن الذي كان لا يتحدث مثله فيه، بدلالة الفعل(كان) الذي يدل على الماضي، فقالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا، و لم يقولوا : كيف نكلم من يكن في المهد، فكيف يوجه هذا زمن الفعل مع هذا السؤال والتعجب؟

للعلماء فيه أقوال:

الأول: أن تكون(من) في معنى الشرط والجزاء، و(كان) بمعنى يكن، لأن الماضي يكون للمستقبل في باب الجزاء، كقوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ الفرقان: ١٠ ، أي: يجعل لك، والتقدير: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه؟

هذا قول ثعلب –رحمه الله–، وقاله الزَّجاج(٢)، وابن الأنباري(٣).

قال أبوحيَّان: وهو قول بعيد جداً(٤).

الثاني: أن (كان) زائدة، والتقدير: كيف نكلم من في المهد صبياً.

قاله أبو عبيد(٥)، ونسب لأبي عبيدة(٦)، ولكنه اختار في كتابه مجاز القرآن القول الثالث كما سيأتي.

الثالث: أن (كان) تامة على معنى وجد وحدث، والتقدير: كيف نكلم من وجد في المهد صبياً.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٧١

(٢) معاني القرآن٣/٣٢٨

(٣) الأضداد:٦١

(٤) البحر المحيط٦/١٨٧

(٥) ينظر: الدر المصون٧/٥٩٥

(٦) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٣/٣٢٨، والتفسير البسيط١٤/٢٤٠

قاله أبو عبيدة[١]، وابن جرير[٢].

وضعف ابن الأنباري القول الثاني والثالث وقال: لا يجوز أن يكون الكون ملغىً، وهو عامل في الصبي النصب، وقول من قال: إن (كان) بمعنى حدث قبيح أيضاً، لأن الصبي لما انتصب بالكون لم يكن الكون بمعنى الحدوث، لأنه إذا كان بمعنى الوقوع والحدوث استغنى عن خبره، كما تقول: كان البرد وكان الحر، تريد وقع وحدث[٣].

وأجاب أبو حيَّان على قول ابن الأنباري فقال: ليس بشيء لأنه إذ ذاك ينتصب على الحال والعامل فيها الاستقرار[٤].

الرابع: أن (كان) ناقصة بمعنى صار، أي: كيف نكلم من صار في المهد صبياً؟

قاله أبو حيَّان[٥].

الخامس: أنها بمعنى هو.

قاله ابن عطية[٦]، والقرطبي [٧].

السادس: أن (كان) مسلوبة الزمن بلا انقطاع، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ النساء: ٩٦.

قاله أبو حيَّان[٨]، وذكره السَّمين الحلبي[٩].

السابع: أنها لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو هاهنا لقريبه خاصة، والدال عليه مبنى الكلام.

قاله الزَّمَخشَري[١٠].

---

(١) مجاز القرآن٢/٧

(٢) جامع البيان١٥/٥٢٦

(٣) ينظر: التفسير البسيط١٤/٢٤١، والجامع لأحكام القرآن١٣/٤٤٥

(٤) البحر المحيط٦/١٨٧

(٥) البحر المحيط٦/١٨٧

(٦) المحرر الوجيز٤/١٤

(٧) الجامع لأحكام القرآن١٣/٤٤٥

(٨) البحر المحيط٦/١٨٧

(٩) ينظر: الدر المصون٧/٥٩٥

(١٠) الكشاف٣/١٤

الثامن: أن يكون (نُكلم) حكاية حال ماضية، أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم النَّاس صبياً في المهد حتى نكلمه نحن؟

ذكره الزَّمَخشَري، والسَّمين الحلبي[1].

النتيجة:

الأقوال والأوجه التي ذكرها العلماء في دفع مشكل هذه الآية محتملة وجائزة، لكنها تختلف بين الأولى والأقرب.

والظاهر أن أقربها الأقل تقديرا وتغييراً في تركيب ألفاظ الآية، وهو أن تكون (كان) على معنى وجد أو صار أو هو، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الكشاف٣/١٤، والدر المصون٧/٥٩٥

(٢٣٨) قوله تعالى :﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ مريم: ٣٨

قوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾ قال أبو العبَّاس: العرب تقول هذا في موضع التعجب، فتقول: أسمع بزيد وأبصر، أي: ما أسمعه وأبصره، فمعناه أنه –عز وجل– عجَّب نبيه ﷺ منهم[1].

الدِّراسة:

في المسألة قولان:

الأول: أمر على معنى الخبر والتعجب من حالهم، والمعنى : ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفع السمع البصر.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[2].

الثاني: أمر على بابه، وهو كناية عن التهديد لهم، أي: اسمع بحديثهم وأبصر ماذا يصنع بهم اليوم.

روي عن أبي العالية[3].

النتيجة:

الذي يظهر أن الأمر ليس على بابه وأنه على معنى الخبر، ويراد منه التعجب من حالهم، كما قاله جمهور المفسِّرين، وأيده سياق الآية :﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾، فكأنه عمل مقارنة بين حالهم اليوم ويوم القيامة في السمع والطاعة، والله تعالى أعلم.

---

(١) ياقوتة الصراط: ٣٤٠، وينظر: الجامع لأحكام القرآن١٣/٤٥٤

(٢) ينظر: جامع البيان ١٥/٥٤٣، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٣٣٠، و معاني القرآن، للنحاس ٤/٣٣١، والتفسير البسيط١٤/٢٤٩-٢٥٠، والكشاف٣/١٦، والمحرر الوجيز٤/١٦، والدر المصون٧/٦٠٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٤٤، والكشاف٣/١٧، والتحرير والتنوير١٦/١٠٧

(٢٣٩) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٥

وقوله عز وجل: ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ قال ثعلب: كل من عبد شيئاً من دون الله، فقد اتخذه ولياً(١).

الدِّراسة:

دعا إبراهيم عليه السلام أبيه إلى توحيد الله تعالى، وأبلغ له في النصيحة، وحَذَّرَه إن هو أشرك الشيطان مع الله في العبادة، فإن النتيجة أن يصيبه عذاب الله تعالى، فيكون ولياً للشيطان. وهكذا كل من عبد شيئاً مع الله تعالى سيكون ولياً له.

قال الراغب: الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسب، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد(٢).

لكن ما المراد بالموالاة هنا في هذه الآية؟

الأنسب في معنى الآية والذي يدل عليه السياق أن تكون على معنى المصاحبة في المكان (٣)، حيث أنه إذا وقع العذاب لا يبقى من معنى الولاية إلا المصاحبة والرفقة في العذاب، ولا يكون بين الولي ووليه نصرة أو تأييد بل اللوم والعتاب.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١٠/٤٥٨، ولسان العرب١٥/٤١١

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(و ل ي)، وينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة (و ل ي)

(٣) ينظر: المحرر الوجيز٤/١٨، وزاد المسير٥/٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن١٣/٤٥٨، والتحرير والتنوير٦/١١٨

(٢٤٠) قوله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ مريم: ٥٩

وقال الله جلّ وعزّ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

وقال أبو العبَّاس أحمدُ بنُ يَحيى: النَّاس كلُّهُم يقولون: خَلَفُ صِدْقٍ وخَلَفُ سُوْءٍ.

قال: وَخلْفٌ: للسوَّء لا غيْرُ[1].

الدِّراسة:

الخلف بفتح اللام يكون للصالح والطالح، وأما بالسكون فلا يكون إلا للطالح ، وشاهد ذلك هذه الآية، وهو المشهور من كلام العرب[2].

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافِهم وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ [3]

قاله ثعلب، واختاره الزَّجاج[4]، والنَّحاس[5]، والراغب[6]، والزَّمَخشَري[7]، وابن عطية [8]، عطية[8]، والسَّمين الحلبي[9].

وجوز الفرَّاء السكون في معنى الصالح[10]، وكذلك أبو عبيدة[11].

النتيجة:

الراجح قول الجمهور، ويشهد له القرآن، والمشهور من كلام العرب.

---

(١) تهذيب اللغة١٦٨/٧

(٢) البيت للبيد بن ربيعة العامري، ينظر: ديوانه:١٥٣

(٣) ينظر: المحرر الوجيز٢٢/٤، تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة (خ ل ف)

(٤) معاني القرآن٣٣٥/٣

(٥) معاني القرآن٣٤٠/٤

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خ ل ف)

(٧) الكشاف٢٤/٣

(٨) المحرر الوجيز٢٢/٤

(٩) عمدة الحفاظ، مادة (خ ل ف)

(١٠) معاني القرآن١٧٠/٢

(١١) ذكره عنه الأزهري، ينظر: تهذيب اللغة١٦٨/٧

(٢٤١) قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ مريم: ٧١

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾، فسَّره ثعلب، فقال: يردونها مع الكفار، فيدخلها الكفار ولا يدخلها المسلمون، والدليل على ذلك، قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠١ [(١)]

الدِّراسة:

اختلف المفسِّرون في معنى الورود في الآية:

الأول: مرور الكفار والمؤمنين على النَّار، فيدخلها الكفار ويتجاوزها المؤمنون.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾، وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**) قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ وما الْجَسْرُ؟ قال: (**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عليه خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ** [(٢)] **وَحَسَكَةٌ**[(٣)] **مُفْلَطَحَةٌ لها شَوْكَةٌ عُقَيْفَةٌ**[(٤)] **تَكُونُ بِنَجْدٍ**[(٥)] **يُقَالُ لها السَّعْدَانُ**[(٦)] **الْمُؤْمِنُ عليها كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ في نَارِ جَهَنَّمَ حتى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**)[(٧)].

---

(١) لسان العرب٣/٤٥٧

(٢) كَلَالِيب: جمع كُلَّاب وهي حديدة معطوفة كالخطاف، ينظر : ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (ك ل ب).

(٣) الحسكة: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ولها شوك مدحرج، ينظر: ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ح س ك)، والنهاية في غريب الحديث١/٣٨٦.

(٤) التعقيف: التعويج، وعقيفة، أي معوجة، الحسكة: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ولها شوك مدحرج، ينظر: ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ق ف).

(٥) نَجْد: هي المنطقة الوسطى في شبه الجزيرة العربية، ينظر : معجم ما استعجم ١/١٣، ومعجم البلدان ٥/٢٦١-٢٦٢.

(٦) السعدان: نبت له شوك كأنه فلكة، ومنبته سهول الأرض. وقد شبه الخطاطيف بشوك السعدان، وينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(س ع د)، والنهاية في غريب الحديث١/٣٨٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، وباب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ ، (٧٠٠١)، ومسلم، كتاب الإيمان، (١٨٣)

والمعروف في كلام العرب أن الورود بمعنى البلوغ لا الدخول، يقال : وردت بلد كذا، أي: بلغته و لم أدخله[1].

روي عن ابن مسعود، وقتادة[2]، وابن زيد[3]، وقاله ابن جرير[4]، والزَّجاج[5].

الثاني: الدخول للكفار والمؤمنين، ثم إخراج أهل الجنَّة منها.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس ﷺ، وابن جريج[6].

واستدلوا بقوله تعالى عن فرعون :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ ﴾ هود: ٩٨، وقوله :﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ مريم: ٨٦، وقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ مريم: ٧٢، و لم يقل وندخل الظالمين، وقال: ننجي، مما يدل على دخولهم فيها فأنجاهم منها.

وقوله تعالى :﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٨، وهذا يدل على أن الورود في القرآن على معنى الدخول.

الثالث: الدخول، ولكنه للكفار دون المؤمنين.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعكرمة[7].

لكن يُضْعِف هذا القول قوله تعالى بعد هذه الآية :﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ مريم: ٧٢، وهذا يدل على أن الورود من الجميع.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٣٤١، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٣٥٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٩٥

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٩٦

(٤) جامع البيان١٥/٦٠١

(٥) معاني القرآن٣/٣٤١

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٩١-٥٩٤

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٥٩٦

النتيجة:

نزاع قوي بين القول الأول والثاني في معنى الورود في الآية، وكل قول استدل بآيات تؤيد قوله، واللغة تقول إن الورود هو الإشراف على الشيء دخله أو لم يدخله[1]، وهذا يدل على أن الورود يكون على المعنيين، ولكن الحديث الذي جاء عن النَّبي ﷺ واستدل به أصحاب القول الأول هو الفاصل في المسألة والمبين لما أجمل في الآية، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(و ر د)

(٢٤٢) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ مريم: ٧٣

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ قال ثعلب: مجلسا[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أفضل مجلساً.

قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: أوسع عيشاً[٣].

النتيجة:

القول قول الجمهور، يقال : نَدَوتُ القوم، أَنْدُوهم، نَدْواً إذا جمعتهم، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه: النَّادي، ومنه المجلس[٤].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٣/٣١٢

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ١٧١/٢، ومجاز القرآن ١٠/٢، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٤١، ومعاني القرآن، للزجاج٣٤٢/٣، ومعاني القرآن، للنحاس ٣٥٢/٤، وجامع البيان، للطبري ٦٠٧/١٥-٦١٠، والتفسير البسيط٣٠٢/١٤، وتفسير المشكل من غريب القرآن:١٤٨، وتحفة الأريب:٣٠٤

(٣) ينظر: النكت والعيون٣٨٦/٣

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ن د ي)

(٢٤٣) قوله تعالى: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ مريم: ٨٠

قال ثعلب: معناه ونرثه ما زعم أن له مالا وولدا، أي: لا يعطيه، ويعطى غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الآية:

الأول: يسُلب منه ماله وولده في الدنيا بإهلاكه وحرمانه منه ونجعله لغيره، ويأتينا فردا.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وقاله ابن جرير [٢]، والزَّجاج[٣]، وابن عطية[٤]، والقرطبي[٥]، وأبوحيَّان[٦]، وابن كثير[٧].

الثاني: لا يعطى المال والولد الذي كان يؤمل إعطاءه إياه في الآخرة، ويرثه غيره من المسلمين في الجنَّة.

قاله الفرَّاء[٨]، والبغوي[٩]، والزَّمَخشَري[١٠]، وجوزه ابن عطية[١١].

الثالث: نحفظ عليه ما يقول حتى نوفِّيَه عقوبته عليه.

قاله النَّحاس[١٢].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٣/٣١٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٥/٦٢٢-٦٢٣

(٣) معاني القرآن٣/٣٤٥

(٤) المحرر الوجيز٤/٣١

(٥) الجامع لأحكام القرآن١٣/٥٠٩

(٦) البحر المحيط٦/٢١٤

(٧) تفسير القرآن العظيم٥/٢٦١

(٨) معاني القرآن٢/١٧١

(٩) معالم التنزيل٥/٢٥٤

(١٠) الكشاف٣/٣٩

(١١) المحرر الوجيز٤/٣١

(١٢) معاني القرآن٤/٣٥٨

النتيجة:

الراجح القول الثاني لأنه هو المناسب لحال ذلك الكافر في تمنيه المال والولد، فقوله (لأوتين) دليل أنه لا يملك شيء من ذلك، لكنه يتمناه، فكيف يقال إنه يسلب منه بإهلاكه ؟ فالصحيح والله أعلم أنه يمنع ما كان يتمناه في الآخرة، ويعطي لغيره من المسلمين، ويأتي يوم القيامة فردا.

(٢٤٤) قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣

قال أبو العبَّاس: الفرق بين إرسال الله عز وجل أنبياءه و إرساله الشياطين على أعدائه في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، أن إرساله الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادي، و إرساله الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم، كما تقول : كان لي طائر فأرسلته، أي: خليته وأطلقته[١].

الدِّراسة:

في معنى إرسال الشياطين على الكافرين وجهان:

الأول: خليت بين الكافرين والشياطين تفعل بهم ما تشاء.

قاله الزَّمَخشَري[٢].

الثاني: قيضت وسلطت على الكافرين الشياطين، كما قال تعالى :﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦

قاله الزَّجاج[٣]، والواحدي[٤]، والبغوي[٥]، والألوسي[٦]، والشنقيطي[٧].

وجوز الوجهين السَّمعاني[٨]، وابن عطية[٩]، وأبوحيَّان[١٠].

النتيجة:

الراجح القول الثاني والإرسال يراد منه التسليط، ويدل على ذلك التعديه بـــ(على)، وتمام الآية وهو قوله:﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾، وهذا كله مؤيد لمعنى التسليط، والله تعالى أعلم.

---

(١) تهذيب اللغة١٢/٢٧٤، وينظر: لسان العرب١١/٢٨٥

(٢) الكشاف٣/٤٠

(٣) معاني القرآن٣/٣٤٥

(٤) التفسير البسيط١٤/٣٢٣

(٥) معالم التنزيل٥/٢٥٤

(٦) روح المعاني٨/٤٥٠

(٧) أضواء البيان٤/٣٨٨

(٨) تفسير القرآن٣/٣١٣

(٩) المحرر الوجيز٤/٣٢

(١٠) البحر المحيط٦/٢١٦

(٢٤٥) قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ مريم: ٨٩

الإدُّ: الأمر العظيم، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾[1]

الدِّراسة:

الإد والإدة : العجب والأمر الفظيع العظيم والداهية.

يقال: أدَّت الناقةُ تئِدُ، أي: رجَّعت حنينَها ترجيعاً شديداً[2].

وهذا قول جميع المفسِّرين في معنى الإد[3].

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٣٢٠

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(أ د د)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٥/٦٣٥-٦٣٧، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٣٤٦، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٣٦٤، والتفسير البيسط١٤/٣٣٣، والمحرر الوجيز٤/٣٣

(٢٤٦) قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ مريم: ٩٨

وقوله : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ معناه: هل تُبصر، هل ترى[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: هل ترى منهم أحد.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٢].

وليس معاني الحس البصر لكنه من لوازمه، ففسَّروا هذا اللفظ بلازمه.

الثاني: هل تشعر بأحد منهم.

قاله الراغب[٣]، والزَّمَخشَري[٤]، وأبو حيَّان[٥].

الثالث: جوزوا كلا القولين.

قاله القرطبي[٦]، والشَّوكاني[٧]، وابن عاشور[٨].

النتيجة:

الحِسَّ بكسر الحاء: من أحسست بالشيء. حَسَّ بالشيء يَحُسُّ حَسًّا وحِسَّ اً وحَسِيسَ اً، وأحسَّ به وأحُسُّه، شعَر به[٩].

---

(١) تهذيب اللغة٣/٢٦٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٥/٦٣٧، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٣٤٧، ومعاني القرآن، للنحاس٤/٣٦٧، والتفسير البيسط١٤/٣٤٢، وتفسير القرآن، للسمعاني٣/٣١٧، ومعالم التنزيل٥/٢٥٨، وعمدة الحفاظ، مادة(ح س س)وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٥/٢٧٠

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ح س س)

(٤) الكشاف٣/٤٦

(٥) البحر المحيط٦/٢٢١

(٦) الجامع لأحكام القرآن١٣/٥٢٩

(٧) فتح القدير٣/٣٥٣

(٨) التحرير والتنوير١٦/١٧٨

(٩) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ح س س)

والقول المختار هو الجمع بين القولين فلا تعارض بينها، ويكون المعنى : هل تبصر وترى أحد من هؤلاء فتشعر بهم، فمعنى الحِسّ الشعور، ومن لوازمه الرؤية والبصر .

سورة طه

(٢٤٧) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ طه: ١٥

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

أريد أسترها، ومن قال: أَخفى. قال: أظهر(١).

الدِّراسة:

تناول ثعلب -رحمه الله- توجيه معنى (أخفيها) على ضوء القراءات فيها.

القراءة المتواترة بالضم(أُخفيها) على معنى أسترها ولا أظهرها.

والقراءة الشاذة بالفتح(أَخفيها) على معنى أظهرها(٢).

النتيجة:

المختار معنى القراءة المتواترة، لأنه أولى بالصواب من القراءة الشاذة التي لا يؤيدها السياق ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ طه: ١٥.

وقال الطبري: المراد بالإخفاء والستر لوقت الساعة في هذه الآية هو عن نفسه تعالى، والمعنى: أكاد أخفي وقت الساعة حتى عن نفسي، وهذا كله للمبالغة في هذا الأمر(٣).

وعلى هذا تكون (كاد) على بابها.

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٣١

(٢) عن أبي الدرداء ﷺ ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير، ينظر: مختصر شواذ القراءات، لابن خالويه ٨٧، والمحتسب٢/٤٧-٤٨، وإعراب القراءات الشواذ٢/٦٧-٦٨، والبحر المحيط٦/٢٣٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٨

(٢٤٨) قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ طه: ٣١

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾

شَدَّ أزره إذا عاونه في أمره. أي: أعني وقوني. الأزر: العون، آزره يؤازره[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(أَزْرِي):

الأول: العون والقوة، يقال: آزرني في أمري، أي: أعني وقوني في أمري.

هذا قول ثعلب، وري عن ابن زيد[٢]، وقاله الزَّجاج[٣]، والراغب[٤]، والزَّمَخشَري[٥]، وأبو حيَّان[٦]، والسَّمين الحلبي[٧].

الثاني: الظهر، أي: اشدد به ظهري، فيكون لي ظهيراً.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٨]، وقاله أبو عبيدة [٩]، واليزيدي [١٠]، ومكِّي [١١]، والبغوي[١٢]، وابن عطية[١٣]، وابن الجوزي[١٤].

الثالث: قوي به ظهري، وأعني به.

قاله ابن جرير[١٥].

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٥

(٣) معاني القرآن٣/٣٥٦

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(أ ز ر)

(٥) الكشاف٣/٦٠

(٦) تحفة الأريب، مادة(أ ز ر)

(٧) عمدة الحفاظ، مادة(أ ز ر)

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٥

(٩) مجاز القرآن٢/١٨

(١٠) غريب القرآن:٢٤٥

(١١) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٥٢

(١٢) معالم التنزيل٥/٢٧١

(١٣) المحرر الوجيز٤/٤٣

(١٤) تذكرة الأريب١/٣٣٦

(١٥) جامع البيان١٦/٥٥

النتيجة:

الأَزْر في اللغة: القوة الشديدة، وأَزْره وآزره: أعانه وقواه، وأصله من شد الإزار[1].

وقيل بمعنى الظهر، والضعف[2].

والآية محتملة لهذه المعاني ولا تعارض بينها، ولا وجه لتخصيص قول دون غيره.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(أ ز ر)

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومختار الصحاح، مادة(أ ز ر)

(٢٤٩) قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾

قال: أنا ألقيت المحبة عليك(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: جعلت لك مني محبة في صدور النَّاس.

قول جمهور المفسِّرين(٢).

الثاني: جعلت فيك ملاحة وحسن جمال فأحبك النَّاس.

روي عن عكرمة(٣).

النتيجة:

القول الراجح قول الجمهور، لموافقته لظاهر النص، وأما القول الثاني فيحتاج إلى دليل في إثبات الحسن والجمال.

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٢١

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ١٧٩/٢، ومجاز القرآن ١٩/٢، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٤٥، وجامع البيان، للطبري١٦/٥٨، والتفسير البسيط١٤/٣٩٦، والمحرر الوجيز٤/٤٤، والبحر المحيط٦/٢٤١

(٣) يرظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨، والتفسير البسيط١٤/٣٩٦

(٢٥٠) قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ فسَّره ثعلب فقال: لتُرَبَّى من حيث أراك[١].

وقرأ أبو نُهَيك(ولِتَصنَع) بفتح التاء، قال ثعلب: المعنى لتكون حركتك وتصرفك على عين منى[٢].

الدِّراسة:

قرأ الجمهور بضم التاء، وفي معناها أقوال:

الأول: لتُرَبَّى وتُغذَّى من حيث أراك.

روي عن ابن جريج[٣]، وقاله البغوي[٤].

وهذا القول يضعفه أن جميع الخلق يُربى ويُتغذى تحت رؤية الله وبصره، والمعنى المقصود شيءٌ إضافي غير ذلك.

الثاني: لتُغَذَّى وتُرَبَّى على ما أريد وأحب.

روي عن قتادة، وابن زيد[٥]، وقاله أبو عبيدة[٦]، واليزيدي [٧]، وابن جرير [٨]، وابن الأنباري[٩]، والواحدي[١٠]، والزَّمَخشَري[١١].

وهذا القول فيه شبهة نفي الصفات الذاتية لله تعالى.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٢/٦،٢٤٨/٢٥٣، وينظر: لسان العرب٣/٣٠١، ٣٠٩

(٢) المحرر الوجيز٤/٤٤، وينظر: البحر المحيط٦/٢٤٢، وروح المعاني٨/٥٠٣

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٦٠، والتفسير البسيط١٤/٣٩٦

(٤) معالم التنزيل٥/٢٧٢

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٩، والتفسير البسيط١٤/٣٩٦

(٦) مجاز القرآن٢/١٩

(٧) غريب القرآن:٢٤٥

(٨) جامع البيان١٦/٦٠

(٩) ينظر: التفسير البسيط١٤/٣٩٩، وزاد المسير٥/٢٨٤

(١٠) التفسير البسيط١٤/٣٩٨

(١١) الكشاف٣/٦٢

وقرأ الحسن، وأبو نُوِيك بفتح التاء، ويكون معناها : لتكون حركتك وتصرفك على عين مني[1].

فسَّره أبو نُوِيك[2].

النتيجة:

القراءة المتواترة هي المختارة، والمعنى المختار فيها الجمع بين القولين، أخذاً بظاهر اللفظ ، ودفعاً للمشكل في المعنى، وشبهة نفي الصفة الذاتية لله تعالى، والمعنى : لتُربَّي وتُغذَّى بمر أى مني على ما أُريد وأُحب.

قال ابن عطية: بمرأى مني، وأمر مدرك مبصر ومراعى[3].

(١) ينظر: المحتسب٢/٥١، وإعراب القراءات الشواذ٢/٧٠، والبحر المحيط٦/٢٤٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٦٠، والتفسير البسيط١٤/٣٩٦

(٣) المحرر الوجيز٤/٤٤

(٢٥١) قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ طه: ٤٤

وقال ثعلب: معناه كي يتذكر[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أنها للترجي، فيكون المعنى: رجاء أن يتذكر، ويحمل الترجي والطمع من موسى وهارون عليهما السلام وهو من الله مستحيل، فخاطب عباده بما يعقلون.

قاله سيبويه[٢]، والزَّجاج[٣]، والسَّمعاني[٤]، والبغوي[٥]، والزَّمَخشَري [٦]، وابن عطية [٧]، والقرطبي[٨]، وأبو حيَّان[٩].

الثاني: أن (لعل) للتعليل، فيكون المعنى: كي يتذكر.

قال ابن الأنباري: مذهب الفرَّاء في ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ كي يتذكر ويخشى في تقديركما وما تمضيان عليه[١٠].

الثالث: أنها على معنى الاستفهام، والمعنى: فقولا له قولا لينا، فانظرا هل يتذكر أو يخشى؟ روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١١].

قال ابن جرير عن الثاني والثالث: ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح[١٢].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١/٩٨، وينظر: البرهان في علوم القرآن٤/٤٢٠ ، ولسان العرب١١/٤٧٣

(٢) ينظر: معاني القرآن٣/٣٥٧، والتفسير البسيط١٤/٤١٠، وزاد المسير٥/٢٨٨، والبرهان في علوم القرآن٤/٤١٧

(٣) معاني القرآن٣/٣٥٧

(٤) تفسير القرآن٣/٣٣٢

(٥) معالم التنزيل٥/٢٧٥

(٦) الكشاف٣/٦٣

(٧) المحرر الوجيز٤/٤٦

(٨) الجامع لأحكام القرآن١٤/٦٥

(٩) البحر المحيط٦/٢٤٥

(١٠) ينظر: التفسير البسيط١٤/٤١٠، وزاد المسير٥/٢٨٨، والبحر المحيط٦/٢٤٦

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٧٥

(١٢) جامع البيان١٦/٧٥

وقد ضعف السَّمين الحلبي هذا القول، وقال: ويستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي[1].

لكن يجاب هذا بأنه استفهام في حق المخاطَب لا في حق الله تعالى.

الرابع: أنها في القرآن من الله تعالى واجبة الوقوع، وقد تذكر وخشي فرعون من الله تعالى عند الغرق[2].

قاله أبو بكر الورَّاق[3][4]، وفي تحققه في جميع القرآن نظر.

النتيجة:

أرجح الأقوال أنها على بابها بمعنى الترجي في حق المخاطَب، وبقاء اللفظ على مدلوله متى ما وجد إلى ذلك سبيلا أولى من تأويله وصرفه عنه إلى غيره، والله أعلم.

---

(١) الدر المصون٨/٤٣

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٧/٤٦٤٦، وتفسير القرآن، للسمعاني٣/٣٣٢

(٣) محمد بن عمر بن علي بن خلف، أبو بكر الوراق البغدادي، ضعفه الخطيب البغدادي، وتوفي سنة ٣٩٦هـ، وينظر: تاريخ بغداد٣/٣٥، وسير أعلام النبلاء١٦/٥٥٤.

(٤) ينظر: معالم التنزيل٥/٢٧٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/٦٦

(٢٥٢) قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤ ﴾ طه: ٥٤

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾، قال ثعلب: لأولي العقول[١].

الدِّراسة:

قيل في معنى ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ أقوال:

الأول: أصحاب الحِجَا والعقول.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: أصحاب الورع.

روي عن قتادة[٣].

الثالث: أصحاب التقى.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤].

النتيجة:

النُّهى جمع نُهيَة، والنُهيَة: العقل، وسمي العقل نُهيَة، لأنه يُنتهى إلى ما أُمر به، لا يجاوز أَمره، أو أنه يَنهى عن كل قبيح[٥].

هذا تفسيره على اللفظ وهو قول الجمهور، وأما الأقوال الأخرى فهي تفسير بالمعنى بلازم اللفظ، ولازم صاحب العقل أن يكون تقياً ورعاً.

---

(١) تفسير السَّمعاني٣/٣٣٥

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ١٨١/٢، ومجاز القرآن ٢٠/٢، غريب القرآن، لليزيدي :٢٤٦، وجامع البيان، للطبري١٦/٨٦، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٣٥٩، والتفسير البسيط١٤/٤٢٢-٤٢٤

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٢٦

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٢٦

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، مادة(ن ه ى)

(٢٥٣) قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ طه: ٦٧

قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ قال الإمامان[١]: الخيفة –ها هنا– الخوف[٢].

الدِّراسة:

أصل (**خِيفة**) خَوفةٌ، قلبت الواو ياء لما انكسر ما قبلها[٣].

وموسى عليه السلام لم يخف على نفسه ولا على أخيه، وإنما خاف على من آمن معه، أن يفتنهم فرعون بهذا السِّحر، فأوحى الله تعالى إليه :﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٦٨ – ٧٠

---

(١) هذا قول أبو عمر الزاهد، يريد ثعلباً والمبرِّد، إماما الكوفة والبصرة في اللغة في عصره ،ينظر: ياقوتة الصراط:٢٥٨

(٢) ياقوتة الصراط:٣٤٨

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢٣/٢، ومعاني القرآن، للزجاج ٣٦٧/٣، وإعراب القرآن، للنحاس ٤٩/٣، والمحرر الوجيز٥٢/٤، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٤، والبحر المحيط٢٦٠/٦

(٢٥٤) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ طه: ١٠٢

﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾

قال: عطاشا(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: زرق العين من شدة العطش، لأن العطشان تزرق عينه من شدة العطش.

قاله البغوي(٢)، وابن الجوزي(٣)، وأبو حيَّان(٤).

الثاني: عُطَاشا(٥).

وهذا تفسير بالمعنى بذكر السبب الذي من أجله أَزرقت العين.

الثالث: عمياً.

قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ﴾ الإسراء : ٩٧، ومن أصيب بالعمى ابيضت عيناه، ويقال للشيء الشديد البياض أزرق، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿ ٱلْحُجُرَٰتِ قٓ ٱلذَّٰرِيَٰتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجْمِ ٱلْقَمَرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْوَاقِعَةِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُجَٰدِلَةِ ٱلْحَشْرِ ٱلْمُمْتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ﴾ يوسف: ٨٤، وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿ ٱلْفَتْحِ ٱلْحُجُرَٰتِ قٓ ٱلذَّٰرِيَٰتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجْمِ ٱلْقَمَرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْوَاقِعَةِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُجَٰدِلَةِ ٱلْحَشْرِ ٱلْمُمْتَحَنَةِ ﴾ يوسف: ٩٣

قاله الراغب(٦)، ومكِّي(٧).

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٢٥، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٦/٢٥٣، ولسان العرب١٠/١٣٩

(٢) معالم التنزيل٥/٢٩٤

(٣) تذكرة الأريب١/٣٤٠

(٤) البحر المحيط٦/٢٧٨

(٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/١٩١، وجامع البيان، للطبري ١٦/١٦١، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٣٧٦، والتفسير البسيط١٤/٥١٦-٥١٩، ومعالم التنزيل٥/٢٩٤، والمحرر الوجيز٤/٦٣، والبحر المحيط٦/٢٧٨

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(زرق)

(٧) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٥٣

الرابع: زُرق ألوان أبدانهم[1].

النتيجة:

الآية ليس فيها ذكر للعين، والأقرب من الأقوال الرابع، حيث أنهم أَزْ رَقَّت ألوان أبدانهم لِما رأوا من الشدائد عند النفخ في الصور ، والإنسان عندما يصاب بمصيبة يتغير لون جسده إلى الزَّرَاق، ويدل على ذلك السياق.

(١) ينظر: المحرر الوجيز٤/٦٣، والبحر المحيط٦/٢٧٨

(٢٥٥) قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١ ﴾ طه: ١١١

وأصل العُنُو الذُّل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ ﴾[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: خضعت وذلت وخشعت واستسلمت للحي القيوم.

(وعَنَت) أصله من العُنُوِّ، عنا يعنو، أي: ذل وخضع[٢].

قول جمهور المفسِّرين[٣].

الثاني: وضع الجبهة واليدين والركبتين وأطراف الأصابع عند السجود.

روي عن طلق بن حبيب[٤][٥].

الثالث: نصبت وتعبت له.

(وعَنَت) أصله من العَنَت، أي التَّعب والنَّصَب[٦].

قاله الفرَّاء[٧].

النتيجة:

القول قول جمهور المفسِّرين، والقول الثاني هو من لازم الذل والخضوع.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره استأسرت وجوه الخلق واستسلمت للحي القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاؤوا.

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٥١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ن ا) ، (ع ن ت)

(٣) ينظر: مجاز القرآن٢/٣٠، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٥١، وجامع البيان، للطبري ١٦/١٧١-١٧٤، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٣٧٧، والتفسير البسيط١٤/٥٣٢-٥٣٥، ومعالم التنزيل٥/٢٩٦

(٤) طلق بن حبيب العَنَزِي البصري، تابعي عُرِف بالزُّهد، روى عن بعض الصحابة، توفي قبل نهاية المائة الأولى من الهجرة، وينظر: طبقات ابن سعد٧/٢٢٧، وسير أعلام النبلاء٤/٦٠١.

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/١٧١

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ن ا) ، (ع ن ت)

(٧) معاني القرآن٢/١٩٢

وأصل العُنُوِّ الذُّل، يقال منه: عنا وجهه لربه يَعَنُو عُنُوّاً يعني به: خضع له وذل، ولذلك قيل للأسير: عانٍ، لذلة الأسر[1].

وأما القول على معنى التَّعب والنَّصَب، فقد يقال به لو كان سياق الآية يتحدث عن حال الخلق في الدنيا، وأما والآيات تتحدث عن موقف النَّاس في الآخرة فالأولى معنى ا لذل والخضوع، والله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان١٦/١٧١

(٢٥٦) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ طه: ١١٢

﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

أي: ولا كسرا. يقال: انهضم الطعام، إذا انكسر في بطنه. وهضمه: كسره[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: النقص.أي: نقصاً في حسناته.

قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: القهر والغصب. وهذا لازم النقص في الحق .أي: لا يحاسب بالقهر والغصب بل بالعدل.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك[٣].

الثالث: الكسر. وهذا في معنى النقص أيضاً[٤].

النتيجة:

كل ما ذكر من أقوال محتملة لمعنى الآية، صحيحة في اللغة، لا تعارض بينها[٥].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢٢

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/١٩٣، ومجاز القرآن ٢/٣١، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٥١، وجامع البيان، للطبري١٦/١٧٦-١٧٨، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/٣٧٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٤٣٦، وتفسير المشكل من غريب القرآن :١٥٤، والتفسير البسيط ١٤/٥٣٦-٥٣٨، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٦، وتحفة الأريب:٣٠٨، وعمدة الحفاظ، مادة (ه ض م)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/١٧٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٣٦

(٤) ينظر: معالم التنزيل٥/٢٩٦

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب،مادة(ه ض م)

(٢٥٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: ١١٣

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

قال: شرفاً(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: تذكراً وموعظة.

قول جمهور المفسِّرين(٢).

الثاني:عذاباً. أي:يتذكرون حلول العذاب الذي وعِدُوه(٣).

الثالث: شرفاً.

قاله الفرَّاء(٤).

النتيجة:

القول بالتذكرة في معنى التقوى، وعلى هذا القول تكون(ذكراً) مؤكدة لمعنى (يتقون).

ومن القواعد في التفسير التأسيس أولى من التوكيد، والأولى حمل كلام الله على عدم الترادف، وحيئذ يترجح القول الثالث، أي : لعلهم يتذكرون فيتقون الله تعالى ، ويكون القرآن لهم شرفاً في الدنيا والآخرة، ومثله قوله تعالى :﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الزخرف: ٤٤، ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠

وأما القول بالعذاب فهو في معنى القول بالتذكرة والموعظة، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٢٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٦/١٧٨-١٧٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٤٣٦، والتفسير البسيط١٤/٥٣٨، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٧، والمحرر الوجيز ٤/٦٥، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٤٤، والبحر المحيط٦/٢٨١

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/١٩٣، والتفسير البسيط١٤/٥٣٩

(٤) معاني القرآن٢/١٩٣

(٢٥٨) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ طه : ١١٥

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾

قال: نسي العهد. ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ العزم: الصبر على ما عهد إليه[1].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(فنسي):

الأول: النسيان على بابه. أي: نسي آدم ما عهد إليه من عدم الأكل من الشَّجرة.

روي عن ابن زيد[2].

الثاني: النسيان بمعنى الترك. أي ترك آدم الوفاء بالعهد و لم ينس، لأن النَّاس ي لا يؤاخذ بنسيانه، وقد ذكَّره إبليس بالعهد قبل الأكل من الشَّجر ة:﴿ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ ﴾ الأعراف: ٢٠، فكيف يكون نسي العهد؟

هذا قول جمهور المفسِّرين[3].

ومثل هذه الآية كثير في القرآن، قال تعالى : ﴿ المُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ ﴾ الأعراف: ٥١ وقال :﴿ رِجْسٌ النَّمْلِ غَافِلٍ ﴾التوبة: ٦٧، وقال: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه : ١٢٦،﴿ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ البقرة: ٢٣٧ ، وقوله:﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾القصص: ٧٧

والأقوال في معنى (عزما):

الأول: صبرا، أي: لم نجد له صبراً على الوفاء بالعهد.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٢٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/١٨٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٣٦

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/١٩٣، وجامع البيان، للطبري١٦/١٨٢، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٣٧٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٤٣٧، والتفسير البسيط ١٤/٥٤٣، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٧، والمحرر الوجيز٤/٦٦، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٤٦، والبحر المحيط٦/٢٨٣

روي عن قتادة[1]، وقاله الفرَّاء[2]، والواحدي[3].

الثاني: حفظاً، أي: لم نجد له حفظاً على العهد.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد، وعطية العوفي[4].

وجوز ابن جرير كلا القولين[5].

النتيجة:

الموافق مع حال آدم عليه السلام أن النسيان بمعنى الترك وليس على بابه، وأما معنى العزم فيشمل الصبر والحفظ، ولا مانع من حمل معنى الآية عليهما، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/١٨٣

(٢) معاني القرآن٢/١٩٣

(٣) التفسير البسيط١٤/٥٤٤

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/١٨٤

(٥) جامع البيان١٦/١٨٤

(٢٥٩) قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ طه: ١١٩

﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

تضحى: تصيبك الشَّمس(١).

الدِّراسة:

ضحا الرجل إذا برز للشمس فأصابه حرُّها، ضَحَا، وضُحِياً(٢).

ومعنى الآية: تصيبك شمس مؤذية بالحرارة.

قول جمهور المفسِّرين(٣).

(١) مجالس ثعلب٢/٤٣٠

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، مادة(ض ح ا)

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء ١٩٤/٢، ومجاز القرآن ٣٢/٢، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٥١، وجامع البيان، للطبري١٦/١٨٧-١٨٨، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٣٧٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢٤٣٨/٧، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (ض ح ى)، وتفسير المشكل من غريب القرآن :١٥٤، والتفسير البسيط١٤/٥٤٦-٥٤٨، ومعالم التنزيل٥/٢٩٩، وتحفة الأريب:٢٠٧، وعمدة الحفاظ، مادة (ضحو)

(٢٦٠) قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ طه: ١٣٠

سألت المبرِّد عنه، فقال: معناه: وأطراف ساعات النَّهار، وسئلت ثعلباً عنه، فقال : أراد الطرفين بقوله: أطراف، لأن الاثنين جمع[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أخذ بالمشهور من ظاهر اللفظ، فقال: أطراف يراد به ثلاثة أوقات في النَّهار فأكثر. والمراد وقت صلاة الظهر والمغرب، لأن صلاة الظهر تكون عند طرف آخر النَّهار الأول، وأول النَّهار الآخر، والمغرب عند آخر النَّهار الآخر، فهذه ثلاثة أطراف.

قاله ابن جرير[٢].

الثاني: قالوا: يراد بـــ(أطراف) طرفين، والاثنين أقل الجمع، ويؤيده قوله تعالى :﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾الروم: ١-٥ .

والمراد وقت صلاة الظهر والمغرب. أي: عند أول النَّهار الآخر، وآخر النَّهار الآخر.

وجوزه ابن جرير[٣].

وقيل: وقت صلاة الظهر فقط، لأنه يكون عند آخر النَّهار الأول، وأول النَّهار الآخر.

روي عن قتادة[٤]، وقاله الواحدي[٥]، والبغوي[٦]، وابن عطية[٧]، وأبو حيَّان[٨].

وقيل: صلاة الظهر والعصر، لأنهما يكونا عند آخر النَّهار الأول، وأول النَّهار الآخر.

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٥٥، وينظر: تهذيب اللغة١٣/٢٢٠

(٢) جامع البيان١٦/٢٠٩

(٣) جامع البيان١٦/٢١٠

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٤٤١

(٥) التفسير البسيط١٤/٥٥٨

(٦) معالم التنزيل٥/٣٠٢

(٧) المحرر الوجيز٤/٧٠

(٨) البحر المحيط٦/٢٩٠

قاله الزَّجاج[1].

وقيل: صلاة الفجر والمغرب، عند أول النَّهار الأول، وآخر النَّهار الآخر.

روي عن ابن زيد[2].

وقيل: صلاة الفجر والظهر والعصر، فالفجر عند طرف أول النَّهار الأول، والظهر والعصر عند أول النَّهار الآخر.

قاله الفرَّاء[3].

النتيجة:

الراجح الثاني ويراد به وقت صلاة الظهر والعصر، لأن صلاة المغرب وغيرها ذكرت في الآية ولم يبق سوى صلاة الظهر والعصر، والطرفان آخر النَّهار الأول، وأول النَّهار الآخر ، والله تعالى أعلم.

(١) معاني القرآن٣/٣٨٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢١١

(٣) معاني القرآن٢/١٩٥

سورة الأنبياء

(٢٦١) قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨

قال ثعلب و المبرِّد جميعاً: العرب اذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً ، فمعناه: وإنما جعلناهم جسداً ليأكلوا الطعام. قالا: ومثله في الكلام: ما سمعت منك لا أقبل منك. أي: إنما سمعت منك لأقبل منك[١].

الدِّراسة:

هذه القاعدة في الكلام التي نقلها أبوعمر الزاهد عن ثعلب و المبرِّد ، نقلها الزَّركشي ، والسيوطي[٢] عنهما وأن الكلام بين جحدين إخبار.

وهذه الآية رَدٌّ على مقولة المشركين: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ الفرقان: ٧

والمفسِّرون ذكروا وجهان في معنى الآية:

الأول: إنما جعلناهم جسداً وإنساناً ليأكلون الطعام، أو لم نجعلهم جسداً إلا ليأكلوا الطعام. قاله الفرَّاء[٣]، والزَّجاج[٤].

الثاني: ما جعلناهم جسداً لا روح فيه لا يأكلون الطعام، بل جعلناهم جسداً بروح طاعمين. قاله ابن جرير[٥]، والزَّمَخشَري[٦]، وابن عطية[٧]، والألوسي[٨]، وابن عاشور[٩].

النتيجة:

الجسد في اللغة: الجسم الذي لا حياة فيه مما لا يميز ولا يعقل، وهو يرادف الجثة، أو ما لا يأكل أو يشرب مما يعقل نحو الملائكة والجن[١٠]، وهذا مؤيد للوجه الثاني، والله تعالى أعلم.

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٥٧، ينظر: تهذيب اللغة١٠/٢٩٩، وزاد المسير٥/٣٤١، ولسان العرب٣/١٢٠

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن٤/٩٢، والإتقان في علوم القرآن٢/٨٨٣

(٣) معاني القرآن٢/١٩٩

(٤) معاني القرآن٣/٣٨٥

(٥) جامع البيان١٦/٢٣٠

(٦) الكشاف٣/١٠٢

(٧) المحرر الوجيز٤/٧٥

(٨) روح المعاني٩/١٤

(٩) التحرير والتنوير١٧/١٩

(١٠) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ج س د)

(٢٦٢)قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾، قال ثعلب: معناه فيه شرفكم[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: شرفكم.

قاله الفرَّاء[٢]، وابن جرير[٣]، والبغوي[٤]، والقرطبي[٥].

الثاني: ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم، وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب.

قاله الزَّجاج[٦].

الثالث: مكارم أخلاقكم.

روي عن سفيان[٧].

الرابع: العمل بما فيه حياتكم.

وجوز الزَّمَخشَري جميع هذه الأقوال[٨]، وابن عطية[٩]، وابن عاشور[١٠].

الخامس: حديثكم، وما عاملتم به أنبياء الله تعالى.

روي عن مجاهد[١١].

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٥٩

(٢) معاني القرآن٢/٢٠٠

(٣) جامع البيان١٦/٢٣٢

(٤) معالم التنزيل٥/٣١١

(٥) الجامع لأحكام القرآن١٤/١٨٠

(٦) معاني القرآن٣/٣٨٥

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٣٢، وتفسير سفيان بن عيينة:٢٩٥

(٨) الكشاف٣/١٠٢

(٩) المحرر الوجيز٤/٧٥

(١٠) التحرير والتنوير١٧/٢٢-٢٣

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٣٢، والبحر المحيط٦/٢٩٩

النتيجة:

القول الأول أولى الأقوال في معنى الكلمة، وغيره هو تفسير بالمعنى على ذكر سبب كونه شرف لهم، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ الزخرف: ٤٤، سوى القول الخامس فليس فيه معنى الشرف، بل على معنى الذم والتهديد.

(٢٦٣) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٠

﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ﴾

قال: يقال امرأة رتقاء إذا كانت لا يوصل إليها .

فيقول: كانت السَّماء لا تمطر، ثم أمطرت وأنبتت الأرض ولم تكن تنبت [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: كانت السَّماء مصمتةٌ لا يترل منها المطر ففتقها وأنزل منها المطر، والأرض كذلك مصمتة لا تنبت ففتقها فأنبتت.

روي عن عكرمة، وعطية، وابن زيد [٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، وأبو عبيدة[٤]، واليزيدي[٥]، وابن جرير[٦]، ومكِّي[٧]، وابن عطية[٨]، وابن الجوزي[٩]، والقرطبي[١٠].

الثاني: كانت السموات سماء واحدة ملتصقة، وكذلك الأرضون ففتقها فأصبحت سبعاً.

روي عن مجاهد، وأبوصالح، والسُّدِّي[١١]، وقاله الزَّجاج[١٢].

الثالث: كانت السَّماء والأرض ملتصقتين لا هواء بينها ولا ريح ففتقهما.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٦١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٥٧-٢٥٨

(٣) معاني القرآن٢/٢٠١

(٤) مجاز القرآن٢/٣٧

(٥) غريب القرآن:٢٥٤

(٦) جامع البيان١٦/٢٥٩

(٧) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٥٦

(٨) المحرر الوجيز٤/٨٠

(٩) تذكرة الأريب١/٣٤٦

(١٠) الجامع لأحكام القرآن١٤/١٩٨

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٥٦-٢٥٧

(١٢) معاني القرآن٣/٣٩٠

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة، و الضَّحاك [1]، وقاله السَّمين الحلبي[2].

وجوز الزَّمَخشَري الثاني والثالث[3].

الرابع: جمع بين الأقوال الثلاثة، أي: فتق السموات السبع والأراضين السبع ، وبين السَّماء الدنيا والأرض، وجعل السَّماء تمطر والأرض تنبت.

قاله ابن كثير[4].

النتيجة:

الرَتْق في اللغة: السدَّ، يقال :رَتَقْتُ الشيء فارتَقَ، ومنه الرَّتقاء وهي المُنْضَمَّة الفرج[5].

والفتقَ: الفصل بين الشيئين اللذين كانا ملتصقين[6].

القول المختار الأول.

قال ابن جرير : وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب في ذلك، لدلالة قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ ﴾على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه[7].

وبهذا القول يكون الاعتبار، وتذكر نعمة الله تعالى، وقدرته على الإحياء، وهذا سبيل في وعظ الكفار،كثيرٌ في القرآن.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٥٥-٢٥٦

(٢) عمدة الحفاظ، مادة(ف ت ق)

(٣) الكشاف٣/١١٠-١١١

(٤) تفسير القرآن العظيم٥/٣٣٩

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وتحفة الأريب،مادة(ر ت ق)

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وتحفة الأريب، مادة(ف ت ق)

(٧) جامع البيان١٦/٢٥٩

(٢٦٤) قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٧

قال ثعلب: خُلِقَت العَجَلةُ من الإنسان[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: طَبعُ الإنسان العَجَلة، والعرب تقول للذي يكُثِر من الشيء، خُلِقت منه.

ودليل هذا القول تمام الآية: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾، وقوله تعالى في وصف الإنسان: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ الإسراء: ١١

روي عن قتادة[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، والزَّجاج[٤]، والواحدي[٥]، وابن عطية[٦]، القرطبي[٧]، وأبو وأبو حيَّان[٨].

الثاني: عجلة آدم أثناء خلقه عندما أراد أن يقوم قبل أن تبلغ الروح رجليه.

روي عن سعيد بن جبير، والسُّدِّي[٩].

الثالث: عجلة في خلق آدم، عندما خلقه الله في آخر النَّهار قبل غروب الشَّمس، فأسرع الله في خلقه قبل مغيبها.

روي عن مجاهد، وابن زيد[١٠]، وقاله ابن جرير[١١].

الرابع: من معاني العجل في اللغة الطين، أي: خلق الإنسان من طين.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١/٣٢٤، وينظر: البرهان في علوم القرآن٣/٣٣٥، ولسان العرب١١/٤٢٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٧١

(٣) معاني القرآن٢/٢٠٣

(٤) معاني القرآن٣/٣٩٢

(٥) التفسير البسيط١٥/٧٨

(٦) المحرر الوجيز٤/٨٢

(٧) الجامع لأحكام القرآن١٤/٢٠٣

(٨) البحر المحيط٦/٣١٢

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٧١

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٢٧٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٥٣

(١١) جامع البيان١٦/٢٧٤

قاله نفطويه[1].

صحيح في اللغة ولكن لا يناسب المعنى المراد في الآية[2].

الخامس: خلقت العجلة من الإنسان، وهذا على القلب.

قاله أبو عبيدة[3].

ولا وجه لحمله على القلب مع ما له على الاستواء من المعنى المفهوم، والقلب لا يكون في الكلام الفصيح، وكلام الله يحمل على أحسن وجوه الكلام[4].

النتيجة:

الأنسب والموافق لمعنى الآية وسياقها الأول، وهو قول الجمهور من المفسِّرين، والقول الثاني في معناه إلا أنه جعل الألف واللام في الإنسان للعهد ويريد آدم عليه السلام والآية للجميع بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

(١) التفسير البسيط٥ ١/٧٧

(٢) ينظر: التفسير البسيط٥ ١/٧٨، والمحرر الوجيز٤/٨٢

(٣) مجاز القرآن٢/٣٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٦ ١٦/٢٧٤، والتفسير البسيط٥ ١/٧٧، والمحرر الوجيز٤/٨٢، والبحر المحيط٦/٣١٢

(٢٦٥) قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧

قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ قال ثعلب: معناه: مغاضباً الملك[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: قومه والملك .

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك[٢].

الثاني: ربه.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والشعبي، وسعيد بن جبير[٣]، وقاله ابن جرير[٤].

النتيجة:

الراجح الأول لدلالة الآية على وقوع الخطأ منه :﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ونهي النَّبي ﷺ أن يقع فيما وقع فيه يونس عليه السلام من عدم الصبر في الدعوة والتحمل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ القلم : ٤٨، ووصفه فقال: ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الصافات: ١٤٢

(١) ياقوتة الصراط:٣٦٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٧٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٦٣

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٧-٣٧٦

(٤) جامع البيان١٦/٣٧٧

(٢٦٦) قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧

عن أبي العبَّاس أحمد بن يحيى ثعلب أنه قال في قول الله عز وجل : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ هو من التقدير ليس من القدرة. يقال منه: قدر الله لك الخير، يقدره قدراً ، بمعنى: قدر الله لك الخير. وأنشد ثعلب:

فليست عشيِّاتِ اللِّوى[١] برواجعٍ لنا أبداً ما أورق السَّلمُ[٢] النَّضرُ

ولا عائداً ذاك الزمانُ الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكرُ[٣]

يعني: ما تقدره وتقضي به يقع[٤].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: مأخوذ من التقدير، أي: القضاء والحكم، والمعنى: فظن أن لا نقضي عليه العقوبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، و الضَّحاك [٥]، وقاله الفرَّاء [٦]، والزَّجاج[٧]، والبغوي[٨].

الثاني: مأخوذ من القَدْر، أي: التضييق، والمعنى: فظن أن لا نضيق عليه بالعقوبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّوْلِ ٱلْبَحْرِ ٱلْقَبَضِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلْوَاقِعَةِ ٱلْحَدِيدِ ﴾ الرعد: ٢٦

---

(١) وجع في المعدة. ينظر: لسان العرب، مادة(ل و ي)

(٢) نوع من الشَّجر ذات الشوك، يدبغ بورقها وقشرها. ينظر: لسان العرب، مادة(س ل م)

(٣) البيت لأبي صخر الهذلي، ينظر: التمهيد لابن عبد البر١٨/٤٤، وأمالي القالي١/١٥٠، والأغاني٢٤/١٢٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن١٤/٢٧١

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٧٨-٣٨٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٦٣

(٦) معاني القرآن٢/٢٠٩

(٧) معاني القرآن٣/٤٠٢

(٨) معالم التنزيل٥/٣٥١

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[1]، وقاله ابن جرير[2]، وابن كثير[3].

الثالث: مأخوذ من القدرة، والمعنى: فظن أن يعجزنا ولا نستطيع عقابة.

ومنه قوله تعالى :﴿النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ﴾ الأنعام: ٦٥

نسب إلى الحسن، والصحيح أن معنى قوله يعود على القول الأول أو الثاني[4].

الرابع: على الاستفهام، والتقدير: أفظن أن لا نقدر عليه؟

روي عن ابن زيد[5].

النتيجة:

كل هذه الأقوال صحيحة في اللغة، محتملة لمعنى الآية لا إشكال فيها جميعا سوى القول الثالث فهو لا يناسب مقام النبوة ولا يصح صدوره من نبي أو رسول، والقول الذي يعظم مقام النبوة ولا يرسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية.

وأما القول بالاستفهام ففيه تقدير محذوف وغيره أولى منه بدون تقدير، والقاعدة يقلَّل من التقدير ما أمكن، من أجل البقاء على أصل النص والمحافظة عليه.

والعرب لا تحذف شيئاً في الكلام إلا وقد أبقت دليلاً عليه ، والكلام في الآية لا دلالة فيه على الاستفهام[6].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٧٨-٣٨٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٦٣

(٢) جامع البيان١٦/٣٨١

(٣) تفسير القرآن العظيم٥/٣٦٦

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٨٠

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٨١

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٣٨١

(٢٦٧) قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٥

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

من قال: (حرام على قرية أهلكناها أنهم يرجعون) فجعل (لا) صلة أنهم لا يرجعون . ومن جعل الحرام مكان القول وأقره على ما كان، فالقولان صحيحان[1].

الدِّراسة:

هذه المسألة اختلف العلماء فيها إلى قولين[2]:

الأول: أن (لا) أصلية، وعلى باها تفيد النفي، وفيها عدة أوجه:

الوجه الأول: ممتنع على كل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى الآخرة.

الوجه الثاني: واجب على كل قرية قدرنا إهلاكها أنهم لا يرجعون عن الذنوب.

الوجه الثالث: واجب على كل قرية قدرنا إهلاكها أنهم لا يرجعون إلى الإيمان.

الوجه الرابع: واجب على كل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى الدنيا.

الثاني: أن (لا) زائدة، وفيها عدة أوجه:

الوجه الأول: وممتنع على كل قرية أهلكناها أنهم يرجعون إلى الدنيا.

الوجه الثاني: وممتنع على كل قرية قدرنا إهلاكها أنهم يرجعون إلى الإيمان.

الوجه الثالث: وممتنع على كل قرية قدرنا إهلاكها أنهم يرجعون عن الذنوب.

الوجه الرابع: واجب على كل قرية أهلكناها أنهم يرجعون إلى الآخرة.

النتيجة:

المختار القول الأول وهو بقاء (لا) ثابتة غير زائدة ما دام لها مخرج في الآية، وهذا هو الأصل لا زائد في القرآن، ومن قال بالزيادة فلعله ظهر له موهم تعارض بين المنع والنفي في الرجوع

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٥١

(٢) ينظر مجمل هذه الأقوال والأوجه في : جامع البيان١٦/٣٩٥-٣٩٧، وإعراب القرآن، للنحاس ٣/٧٩-٨٠، والبيان في إعراب القرآن :١٣٥، وإملاء ما من به الرحمن ٢/١٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٨٥-٢٨٦، والدرر المصون٨/١٩٨-٢٠٠

إلى الآخرة، ولا يخفى أن نفي النفي إيجاب، وهذا ما يدفع القول بالزيادة ويرجح القول بالأصل، واختيار الوجه الأول منه في إبقاء معنى(حرام) على بابها و(لا) ثابتة وأصلية.

(٢٦٨) قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٢

وقال لي المنذري : سمعت أبا العبَّاس يقول: حَسْت وحَسَسْت : ووَدْت ووَدِدْت، وهَمْت وهَمَمْت وقوله جلّ وعزّ :﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ أي: لا يسمعون حِسَّها وحركة تلهّبها والحَسِيس والحِسُّ الحركة[1].

الدِّراسة:

الحَسِيس والحِسُّ: يطلق على الصوت الخفي وعلى الحركة[2].

وحسيس النَّار حركة لهبها، والمعنى: لا يسمعون صوت حركة لهب النَّار.

هذا قول جمهور المفسِّرين[3].

(١) تهذيب اللغة٣/٢٦٣

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ح س س)

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢/٤٢، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٥٧، وجامع البيان، للطبري ١٦/٤٢٠، والتفسير البسيط١٤/٢١٤-٢١٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/٢٩٤

(٢٦٩) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥

قال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾

قال: كان قبله كتب إبراهيم وغيره فقال: (من بعد الذكر)[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: (الزَّبور) جميع الكتب المترلة، (الذِّكر) أم الكتاب الذي عنده في السَّماء.

روي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وابن زيد [٢]، وقاله ابن جرير [٣]، والزَّجاج [٤]، والواحدي[٥].

الثاني: (الزَّبور) ما قبل التوراة من الكتب، (الذِّكر) التوراة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك[٦].

الثالث: (الزَّبور) القرآن، (الذِّكر) التوراة والإنجيل.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٧].

الرابع: (الزَّبور) زبور داوود، (الذِّكر) التوراة.

روي عن عامر الشعبي[٨]، وقاله أبوحيَّان[٩].

الخامس: (الزَّبور) زبور داوود، (الذِّكر) صحف إبراهيم وما قبله من الكتب.

وهذا قول أبي العبَّاس ثعلب.

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٥٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٣١-٤٣٣

(٣) جامع البيان١٦/٤٣٤

(٤) معاني القرآن٣/٤٠٧

(٥) التفسير البسيط١٥/٢٢٧

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٣٣

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٧٠

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٣٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٧١

(٩) البحر المحيط٦/٣٤٤

النتيجة:

القول المختار الأول، لأن الزَّبور والكتاب بمعنى واحد، يقال زَبَرْت وكتبت بمعنى واحد.

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ، ما قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد، ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض.

وذلك أن الزَّبور هو الكتاب، يقال منه زَبَرْت الكتاب وذَبَرْته، إذا كتبته، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذكر، فإذا كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البيِّنة أنه معنيٌ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم فقد كان قبل زبور داود[1].

(١) جامع البيان٦/١٤٣٤

(٢٧٠) قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنبياء: ١١١

وقال أبو العبَّاس: في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنبياء: ١١١ .

قال: الفتنة الاختبار[١].

الدِّراسة:

الفتنة في القرآن لها عدة معاني فمنها الشرك، ومنها القتل، ومنها العذاب، ومنها الاختب ار والابتلاء وغير ذلك من المعاني[٢].

وجاءت الفتنة هنا على معنى الابتلاء والاختبار وهذا قول جمهور المفسِّرين في الآية[٣].

قال الزَّجاج: أي اختبار لكم[٤].

وقال القرطبي: اختبار ليرى كيف صنيعكم، وهو أعلم[٥].

وروي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٦]، وقاله ابن جرير أنها الهلاك[٧].

قال: لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم، لفتنة يريدها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم يترل بكم حينئذ نقمته[٨].

النتيجة:

القول الراجح قول جمهور المفسِّرين لأنه هو الموافق لترتيب الآية بلا تقديم ولا تأخير، لأنه لا يمكن أن يكون هلاك ثم تمتع، فالأولى على ترتيب الآية أن يكون معنى الفتنة الاختبار، والله أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١٤٦/١

(٢) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني، مادة(ف ت ن)

(٣) ينظر: التفسير البسيط٢٣٣/١٥، وزاد المسير٣٩٩/٥

(٤) معاني القرآن٤٠٨/٣

(٥) والجامع لأحكام القرآن٣٠٣/١٤

(٦) ينظر:جامع البيان، للطبري٤٤٣/١٦

(٧) جامع البيان٤٤٣/١٦

(٨) جامع البيان٤٤٣/١٦

سورة الحج

(٢٧١) قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾﴾ الحج: ٥

وسئل أحمد بن يحيى عن قوله تعالى :﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ فقال: النَّاس خلقوا على ضربين: منهم تام الخلق، ومنهم خديج ناقص غير تام، يدلك على ذلك قوله تعالى : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: السقْط قد يكون منه ما هو ناقص الخلقة ومنه ما هو كامل الخلقة.

روي عن مجاهد، وأبي العالية[٢].

الثاني: المولود حياً، منه ما هو كامل الخلقة، ومنه ما هو ناقص.

روي عن قتادة[٣]، وهو قول ثعلب، وقاله الزَّجاج[٤]، والشنقيطي[٥].

الثالث: المولود الحي تام الخلقة هو المخلقة، والسقْط الميت الناقص الخلقة هو غير المخلقة.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس ﷺ، وعكرمة، والشعبي[٦]، .....

(١) تهذيب اللغة١٧/٧، وينظر: التفسير البسيط٢٦٣/١٥، ولسان العرب٨٦/١٠

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري٤٦٢/١٦-٤٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢٤٧٥/٨

(٣) ينظر:جامع البيان، للطبري٤٦٢/١٦

(٤) معاني القرآن٤١٢/٣

(٥) أضواء البيان٢٣/٥

(٦) ينظر:جامع البيان، للطبري٤٦١/١٦-٤٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢٤٧٥/٨

وقاله الفرَّاء[1]، وابن جرير[2]، والنَّحاس[3].

النتيجة:

القول المختار الثاني، وقد أجاب الشنقيطي على أن المراد في الآية السَّقط، فقال: أما السِّقْط: فقد دلت الآية على أنه غير مراد بدليل قوله: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم ﴾، لأن السَّقط الذي تلقيه أمه ميتاً، ولو بعد التشكيل والتخطيط، لم يخلق الله منه إنساناً واحداً من المخاطبين بقوله: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾. فظاهر القرآن يقتضي أن كلاً من المخلقة، وغير المخلقة: يخلق منه بعض المخاطبين في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[4].

(١) معاني القرآن٢/٢١٥

(٢) جامع البيان١٦/١٤٦٣

(٣) معاني القرآن٤/٣٧٧

(٤) أضواء البيان٥/٢٣

(٢٧٢) قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١

وكقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ فسَّره أبو عبيد : أي: لايدوم، وقال ثعلب: أي: على شك. وكلاهما قريب لأن المراد أنه غير ثابت على دينة ، ولا تستقيم البصيرة فيه(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: على شك من دينه غير متمكن منه فهو يعبده على طرف وحرف لا يثبت ولا يدوم. روي عن مجاهد، وقتادة(٢)، وقاله أبو عبيدة(٣)، واليزيدي(٤)، وابن جرير (٥)، والزَّجاج (٦)، والنَّحاس(٧)، والزَّمَخشَري(٨).

الثاني: على طرف وجانب واحد، يعبده في الرخاء دون الشدة.

ونحو هذا المعنى روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك، وابن زيد(٩)، وقاله ابن قتيبة(١٠)، والأزهري(١١).

---

(١) البرهان في علوم القرآن٢/١٦٧، وينظر: التفسير البسيط١٥/٢٨٤

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري١٦/١٤٧٣-١٤٧٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٧٧

(٣) مجاز القرآن٢/٤٦

(٤) غريب القرآن:٢٥٩

(٥) جامع البيان١٦/١٤٧٢

(٦) معاني القرآن٣/٤١٤

(٧) معاني القرآن٤٣/٣٨٣

(٨) الكشاف٢/١٤٣

(٩) ينظر:جامع البيان، للطبري١٦/١٤٧٣-١٤٧٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٧٦

(١٠) غريب القرآن:٢٩٠

(١١) تهذيب اللغة، مادة(ح ر ف)

النتيجة:

الحرف في اللغة طرف الشيء، سمي بذلك لانحرافه عن الوسط إلى الأطراف[1].

فالشاك في دينه مضطرب غير ثابت عليه، يعبد الله على حافة وطرف من الدين، والأقوال في الآية كلها صحيحة محتملة لمعنى الآية مكمل بعضها لبعض.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، مادة(ح ر ف)

(٢٧٣) قوله تعالى :﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٣

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾

قال: هذه لام اليمين، وجوابها ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ وقال الأخفش: يدعو لمن ضره إلهه أقرب من نفعه[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أن تكون (من) في موضع نصب بـــ(يدعو)، واللام لام يمين للتوكيد موضوعة في غير موضعها، وتقديره: يدعو من لضره أقرب من نفعه، فقدمت اللام إلى (من)،وضره مبتدأ، وأقرب من نفعه: خبر، والمبتدأ والخبر صلة الموصول، وهذا قول ثعلب، والكسائي[٢]، والفرَّاء[٣]، ونسبه الزَّجاج للبصريين والكوفيين[٤].

وضعف أبو علي الفارسي، وأبو حيَّان هذا الوجه، لأن ما كان في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول[٥].

الثاني: أن يكون مفعول (يدعو) محذوفاً، واللام في موضعها، وتقديره: يدعو إلهاً لمن ضره أقرب من نفعه، فـــ(من): مبتدأ، وخبره: أقرب من نفعه، جملة اسمية صلة (من). و(لبئس المولى): خبر(من)[٦].

الثالث: أن يكون (يدعو) بمعنى يقول، وما بعده مبتدأ وخبر، وتقديره : يقول لمن ضره عندكم أقرب من نفعه إلهه، فيكون خبر المبتدأ محذوفاً، أي: إن الكافر يقول: الصنم الذي تعدونه من جملة الضرر، إلهي. وهو قول الأخفش[٧]، .....

(١) مجالس ثعلب٢/٥٩٢

(٢) ينظر: إعراب القران، للنحاس٣/٨٩

(٣) معاني القرآن٢/٢١٧

(٤) معاني القرآن٣/٤١٥

(٥) ينظر: الإغفال٢/١٠٥١-١٠٦٨، والبحر المحيط٦/٣٥٧

(٦) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٤١٥، وإعراب القران، للنحاس٣/٨٩، والبيان في إعراب القرآن٢/١٤٠

(٧) معاني القرآن٢/٤١٣

والمبرِّد[1]، والنَّحاس[2].

الرابع: يكون(يدعو) بمعنى يسمي، نفس الوجه الذي قبله[3].

وضعف هذا الوجه أبو علي الفارسي فقال: فقول ممتنع غير جائز في الآية، والذي منع من إجازة ذلك في الآية دخول لام الابتداء في الكلام، وإذا حمله على التأويل لزمه أن يعلقه، لأنه لا يعمله في اللفظ . والتعليق فيه لا يجوز، لأن التعليق إنما يجوز فيه الإلغاء، وهو علمت وبابه[4].

الخامس: أن تكون (ذلك) من قوله:﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾الحج: ١٢ موصولة في موضع نصب بـــ(يدعو)، والتقدير: الذي هو الضلال البعيد يدعو، وقوله :﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ ﴾الحج: ١٣ مستأنفة.

واختار هذا القول ابن جرير[5]، وأبو علي الفارسي[6].

السادس: أن تكون (يدعو) تكراراً للأ ولى:﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾الحج: ١٢ لطول الكلام ن فلا تعمل ولا تتعدى، وقوله :﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ ﴾الحج: ١٣ مستأنفة[7].

اختاره أبو حيَّان[8].

---

(١) ينظر: إعراب القران، للنحاس٣/٨٩

(٢) إعراب القران٣/٨٩

(٣) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٤١٥، والإغفال٢/١٠٧٣-١٠٧٨

(٤) الإغفال٢/١٠٧٨بتصرف.

(٥) جامع البيان١٦/٤٧٧

(٦) الإغفال٢/١٠٦٢-١٠٦٣

(٧) ينظر:الإغفال٢/١٠٦٢، والبيان في إعراب القرآن٢/١٤٠

(٨) البحر المحيط٦/٣٥٧

النتيجة:

أحسن الأوجه محافظة على ظاهر النص الوجه الثاني، وغيره لا يخلو من اعتراضٍ أو تكلفٍ أو بُعدٍ[1].

(١) ينظر تفصيل هذه المسألة: الإغفال، لأبي علي الفارسي٢/١٠٥١-١٠٧٨، وسر صناعة الإعراب:٤٠٢-٤٠٦، والتفسير البسيط ١٥/٢٨٩-٣٠٣، وإملاء ما من به الرحمن ٢/١٤٠-١٤١، والبحر المحيط ٦/٣٥٦-٣٥٧، والدر المصون٨/٢٣٨-٢٤١

(٢٧٤) قوله تعالى : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ ﴾ الحج: ١٩

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ قال: كان الخصمان واسطة القلادة من الفئتين يوم بدر. والخصم يكون واحداً ويكون جمعاً[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أنهما الفِرَق الذين تبارزوا للقتال يوم بدر.

وروى سبب النزول في ذلك علي بن أبي طالب[٢]، وأبي ذر رضي الله عنهما[٣] ، وروي هذا القول عن عطاء بن يسار، وقيس بن عُباد[٤]، واختاره النَّحاس[٥]، والقرطبي[٦].

الثاني: أنها في جميع الكافرين والمؤمنين.

روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد[٧]، وقاله ابن جرير [٨]، والزَّجاج [٩]، والواحدي[١٠]، وابن عطية[١١]، وابن كثير[١٢].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل،رقم(٤٧٤٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل،رقم (٤٧٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير، رقم(٣٠٣٣)

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٩٠

(٥) إعراب القرآن٢/٩١

(٦) الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٤١

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٩٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٨٠

(٨) جامع البيان١٦/٤٩٣

(٩) معاني القرآن٣/٤١٩

(١٠) التفسير البسيط١٥/٣٣١

(١١) المحرر الوجيز٤/١١٤

(١٢) تفسير القرآن العظيم٥/٤٠٦

الثالث: أنهما اليهود والنصارى والمؤمنون، قال اليهود والنصارى: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم كفرتم به حسداً.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما(١)، وقتادة(٢)، وقاله الفرَّاء(٣).

الرابع: أنها في الجنَّة والنَّار، فقالت النَّار: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنَّة: خلقني الله لرحمته.

روي عن عكرمة(٤).

وقول ثعلب: (والخصم يكون واحداً ويكون جمعاً)، يؤيد القول بأن الخصم الواحد يشمل جميع الكافرين والخصم الثاني يشمل جماعة المؤمنين، كما يدل على ذلك الجمع في قوله(اختصموا) مما يدل على أنه ليس المراد رجلين أو اثنين بل المراد أكثر من ذلك.

النتيجة:

الراجح القول الثاني لأنه يشمل جميع الأقوال، ويؤيده اسم الإشارة ﴿ هَٰذَانِ ﴾ المشار به إلى قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾الحج: ١٧

فيدخل فيه أهل بدر، واليهود والنصارى، وغيرهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وأما القول بالجنَّة والنَّار، فوقوع الاختصام بينهما صحيح، لكن لا يؤيده سياق الآيات.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٩١

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٨٠

(٣) معاني القرآن٢/٢١٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٤٩٣

(٢٧٥) قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

الحج: ٢٤

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾

قال : إلى الحسن. ويقال: لا إله إلا الله(١).

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: الكلام الحسن الطيب، ومنه لا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد(٢)، وقاله ابن جرير(٣).

الثاني: القرآن.(٤)

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٥).

الرابع: ما شكره عليه المخلوقات وأثاب عليه الخالق.

قاله الماوردي(٦).

وهذه الأقوال على أن هذا القول منهم في الدنيا.

الخامس: قول: الحمد لله الذي صدقنا وعده(٧).

وهذا القول على أنه منهم في الآخرة عند دخول الجنَّة، ويكون منه القول الأول، قاله ابن عطية(٨).

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٠١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٩/٢٢٤، ولسان العرب١/٥٦٤

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٨٣

(٣) جامع البيان١٦/٥٠٠

(٤) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٤/١٥، إلى قطرب، والبغوي في معالم التنزيل٥/٣٧٦، وابن الجوزي في زاد المسير٥/٤١٨، إلى الحسن.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون٤/١٥، وابن الجوزي في زاد المسير٥/٤١٨، وأبوحيَّان في البحرالمحيط٦/٣٦١

(٦) النكت والعيون٤/١٥

(٧) حكاه أبو حيَّان عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ينظر: البحر المحيط٦/٣٦١

(٨) المحرر الوجيز٤/١١٥

النتيجة:

القول الذي يؤيده السياق هو الأولى، والسياق في الحديث عن نعيم أهل الجنَّة، فالراجح تفسيره بالكلام الحسن من أهل الجنَّة، وهو ذكر الله سبحانه وتعالى وحمده وشكره، يُلهمونه إلهاماً، فليس فيها لغواً ولا تأثيماً.

(٢٧٦) قوله تعالى :﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحج: ٢٦

قال ثعلب: وإنما أدخل اللام على أن (بوَّأنا) في معنى : جعلنا ، فيكون بمعنى :

﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ النمل: ٧٢، أي: رَدِفكم[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أن تكون اللام في (إبراهيم) معدِّية للفعل على أنه مضمن معنى فعل يتعدى بها، ومفعول (بوأنا) (مكان)، والتقدير: وأذكر حين هيأنا مكان البيت لإبراهيم.

أو يكون مفعوله محذوفًا والتقدير: وأذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مُبَوّءاً.

واختاره أبو حيَّان[٢]، والألوسي[٣].

الثاني: أن تكون اللام للعلة، ويكون مفعول(بوأنا) محذوفًا والتقدير: وأذكر حين بوأنا النَّاس لأجل إبراهيم مكان البيت[٤].

و(بوأنا) جاء متعدياً صريحاً في القرآن :﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف ﴾ يونس: ٩٣، ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ النحل: ٤١، ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ العنكبوت: ٥٨

الثالث: أن تكون اللام زائدة، فهي صلة للتوكيد، والتقدير : بوأنا إبراهيم مكان البيت، ومعنى (بوأنا) أنزلنا.

واختاره العُكبري[٥]، والقرطبي[٦].

---

(١) زاد المسير٥/٤٢٣

(٢) البحر المحيط٦/٣٦٣

(٣) روح المعاني٩/١٣٥

(٤) ينظر: البحر المحيط٦/٣٦٣، والدر المصون٨/٢٦١

(٥) إملاء ما من به الرحمن٢/١٤٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٥٨

وضعف هذا القول السَّمين الحلبي لأن اللام في المفعول لا تزاد إلا إن تقدم المعمول على العامل، أو كان العامل فرعاً[1].

النتيجة:

القول المختار الأول وأن اللام غير زائدة، والفعل مضمن فعلا متعدي والله أعلم.

(١) ينظر: الدر المصون٨/٢٦١

(٢٧٧) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠

وقال أبو العبَّاس في قول الله تعالى: ﴿ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾، قال: الصلوات: كنائسُ اليهود، قال: وأصلُها بالعِبْرَانيّة[١] صَلُوتا[٢]، ونحو ذلك[٣].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: كنائس النصارى.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤].

الثاني: كنائس اليهود.

روي عن قتادة، والضَّحاك[٥]، وقاله الفرَّاء[٦]، وابن جرير[٧]، والزَّجاج [٨]، والواحدي [٩]، والبغوي[١٠].

الثالث: مساجد الصابئين[١١].

روي عن أبي العالية[١٢].

---

(١) العبرانية: هي اللغة اليهودية

(٢) ينظر: المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب ١/٥٩

(٣) تهذيب اللغة ١٢/١٦٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٩٧

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٩٧

(٦) معاني القرآن٢/٢٢٧

(٧) جامع البيان١٦/٥٨٦

(٨) معاني القرآن٣/٤٣٠

(٩) التفسير البسيط١٥/٤٣٣

(١٠) معالم التنزيل٥/٣٨٩

(١١) الصابئين: جمع الصابئة هم أصحاب كنعان ونمرود عبدة الكواكب والنجوم، ويطلق عند العرب على كل من ترك دين قومه، ينظر: معجم ألفاظ العقيدة:٢٣٩، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب٢/٧٢٤.

(١٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٩٧

الرابع: مساجد المسلمين وأهل الكتاب في الطرق.

روي عن مجاهد[1].

الخامس:ترك الصلاة. بسبب دخول العدو أرض أهل الإسلام.

روي عن ابن زيد[2]، وقاله الأخفش[3].

النتيجة:

الثاني أولى لأنه الموافق لمعنى الهدم، والصلوات ذكرت بين مواضع العبادة، فالأولى حملها على ذلك، وأما اختيار كنائس اليهود لأن المقصود من الآية ذكر أماكن العبادة للذين أنزل عليهم الكتاب، فذكرت صومعة الراهب، وبيع النصارى، ومساجد المسلمين، فلم يبقى سوى كنائس اليهود.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٥٨٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٤٩٧

(٣) معاني القرآن٢/٤١٥

(٢٧٨) قوله تعالى :﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج: ٤٥

وقوله جل وعز:﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾

قرأ أبو عمرو ويعقوب:(أهلكتها) بالتاء.وقرأ الباقون:(أهلكناها) بالنون[١].

قال أحمد بن يحيى : ما كان من هذا لله وحده دون أعوانه فهو على التوحيد، وما كان على لفظ الجمع فهو ما فعله بأعوانه[٢].

الدِّراسة:

في توجيه معنى قراءة(أهلكناها) وجهان:

الأول: من قراء بالتاء حمله على لفظ التوحيد الذي أتى بالتاء قبله وبعده :﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾الحج: ٤٤،﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾ الحج: ٤٨

ومن قرأ بالنون بلفظ الجمع أراد التفخيم، وفيه معنى التعظيم، وبه جاء القرآن في مواضع، ﴿الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ ﴾ الأعراف: ٤،﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ ﴾الأنبياء : ٦،﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ ﴾ الأنبياء: ٩٥

قاله ابن خالويه[٣][٤]، ومكّي[٥]، والمهدوي[٦]، وابن زنجلة[٧].

الثاني: من قراء بالتاء على أنه من الله وحده دون أعوانه.

ومن قرأ بالنون على أنه من فعل الله تعالى بأعوانه.

---

(١) القراءتان متواترتان، ويريد بالباقين: باقي القراء العشرة، ينظر: النشر٢/٣٢٧، وإتحاف فضلاء البشر٢/٢٧٧

(٢) القراءات وعلل النحويين ٢/٤٢٦

(٣) الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، أبو عبد الله اللغوي النحوي المقرء، توفي سنة ٣٧٠هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/١٣٩، وسير أعلام النبلاء١٥/٢٧٢.

(٤) الحجة في القراءات السبع:١٥٥

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع٢/١٢١-١٢٢

(٦) شرح الهداية٢/٤٣١

(٧) حجة القراءات٤٧٩-٤٨٠

وهذا قول ثعلب -رحمه الله-.

النتيجة:

المختار الأول لأنه الموافق للسياق والأغلب في القرآن، والله أعلم.

(٢٧٩) قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤

وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾، فسَّره ثعلب: بأنه التواضع[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: التواضع.

قاله السَّمين[٢].

الثاني: الذل.

الثالث: الخضوع والذل والإذعان.

قاله ابن جرير[٣]، ومكِّي[٤]، وابن عطية[٥].

الرابع: الرقة[٦].

الخامس: السَّكن.

قاله البغوي[٧].

السادس: الخشوع.

قاله الراغب[٨]، وابن الجوزي[٩].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ١٥٤/٥، وينظر: لسان العرب٢٨/٢

(٢) عمد الحفاظ، مادة(خ ب ت)

(٣) جامع البيان٦١٣/١٦

(٤) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٦١

(٥) المحرر الوجيز١٢٩/٤

(٦) نسبه الواحدي في التفسير البسيط٤٧٢/١٥، للكلبي.

(٧) معالم التنزيل٣٩٦/٥

(٨) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(خ ب ت)

(٩) تذكرة الأريب١١/٢

النتيجة:

الخِبْتُ: المطمئن والواسع من الأرض، واستعمل الإخبات في اللين والتواضع والخضوع والخشوع والذل[1].

والمعاني متقاربة، واللفظة والآية محتملة لهذه المعاني، ولا مانع من حمل الآية على جميع ما ذكر.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، معجم مقاييس اللغة، مادة(خ ب ت)

(٢٨٠) قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الحج: ٥٨

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ قال أبو العبَّاس: يقال : إن كل إنسان إذا كان يَرزق إنسانا رزقا قد سماه له، ثم غضب عليه قطع ذلك الرزق، والله – عز وجل– إذا غضب على عبده لم يقطع رزقه ما دام حياً[1].

الدِّراسة:

يُعَدُّ كلام ثعلب –رحمه الله– على هذه الآية من التفسير بالمثال لها، فضرب مثلاً يوضح به مجمل الآية الكريمة الذي يشير إلى عظمة رزقه تبارك وتعالى على خلقه.

(١) ياقوتة الصراط:٣٧١

(٢٨١) قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحج: ٧٢

﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾

أي : يبطشون[١].

الدِّراسة:

السطو في اللغة القهر بالبطش والاعتداء[٢].

والمفسِّرون على معنى البطش وشدة الاعتداء[٣].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٣٧

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، معجم مقاييس اللغة، مادة(س ط ا)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٦/٦٣٣، والتفسير البسيط١٥/٤٩٥، وزاد المسير٥/٤٥١

(٢٨٢) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣

قال ثعلب: وإنما قال:﴿ لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ﴾فجعل أفعال الآلهة كأفعال الآدميين إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتخاطب ، كقوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ النمل: ١٨ **لما خاطبهم جعلهم كالآدميين ، ومثله:﴿ ٱلطَّلَٰقِ ٱلتَّخْوِيفِ ٱلْمَلِكِ ﴾** يوسف : ٤[1].

الدِّراسة:

صيغ الجموع والضمائر تختص بالعقلاء دون غيرهم، وقد يرد استعمال تلك الصيغ مع غير العقلاء في حالات مخصوصة، كالتغليب، أو نسبة شيء من أفعال العقلاء إلى غير العقلاء، فيتزلون مترلة من يعقل.

ومن شأن العرب أن تخبر عن غير العاقل بخبر العاقل إذا نسبت إليه شيئاً من أفعال العقلاء[2].

قال تعالى:﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١

(١) زاد المسير٥/٤٥٢

(٢) قواعد التفسير١/٣٠٧بتصرف، وينظر: البرهان في علوم القرآن٢/٢٦٣